فكرة عن الكتاب المقدس

و

تفنيد الادعاء بتحريفه

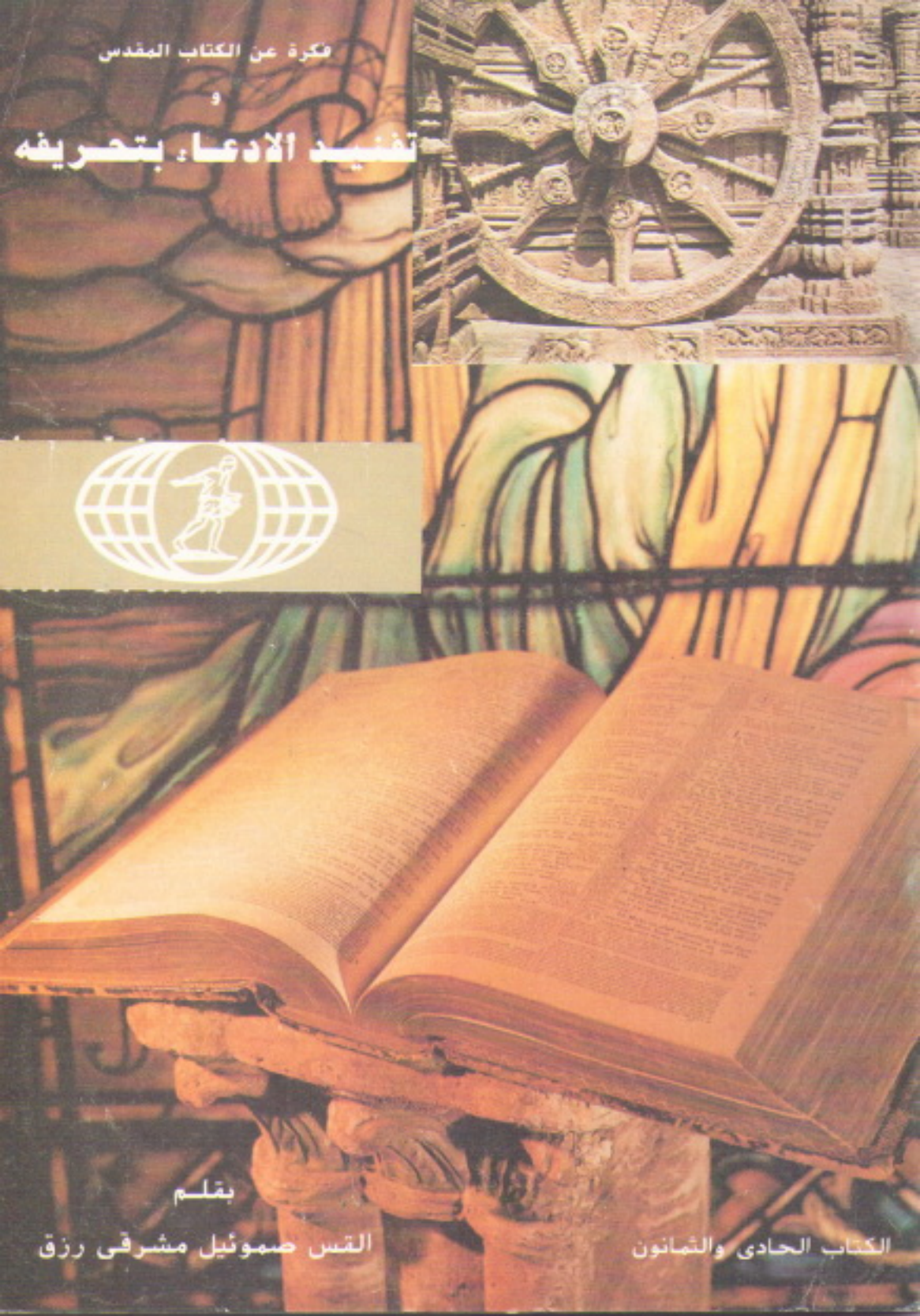

بقلم

القس صموئيل مشرقي رزق

الكتاب الحادي والثمانون

الكتاب الحادى والثمانون

فكرة عن الكتاب المقدس

و

تفنيد الادعاء بتحريفه

البحث الذى يقدم أدق المعلومات عن الكتاب ويبين استحالة تحريفه

بقلم

القس صموئيل مشرقى رزق

الطبعة الثانية

صدرت بالقاهرة فى عام ١٩٩٢
عن الكنيسة المركزية لمجمع الله الخمسينى
٨ ش أحمد باشا كمال ـ بجزيرة بدران ـ شبرا مصر
ت ٧٧٥٦٧٦

كلمـــة تصديـــر

تعرض الكتاب المقدس عبر الزمن لجروح عديدة منها ما كان بسبب الادعاء عليه بالتحريف ومنها ما ظهر مؤخراً من سهام «العصرية» التى تنقد وحيه وتعترض على صحته .... وليس نقدهم سوى تصريحات تعسفية يتشدقون بها.

ويبذل هؤلاء الأدعياء وأولئك الناقدون جهوداً مضنية فى محاربة الكتاب المقدس على أساس فلسفى معاد فى حقيقته للاعلان المسيحى وهم يتصورون بذلك النيل من العقائد التى يشتمل عليها واحدة وراء الأخرى. فى هجوم سافر على المسيحية بأسرها والتى يدور وجودها كله حول الإيمان بعصمة «الكتاب المقدس» واستحالة تحريفه !! أما الكتاب فجلاله فى كونه لم يتغير وغير قابل للتغيير.

ولكن موقف المنتقدين منه قد أجبر المسيحية منذ تاريخها الطويل على اختيار الطريق الصعب فألزم الكنيسة منذ نشأتها على أن تحارب فى معركة روحية ضارية دعوى التحريف والنقد العقلانيين من الخارج وإدعاءات التقليد والتفسير البشريين من الداخل. باذلة أقصى الجهد فى معركتها هذه فى سبيل نصرة الحق وإعلانه .... وهى فى ذلك لا تقوم بحماية الكتاب المقدس من البحث والدرس والنقد العلمى وشتى الادعاءات عليه بوسائل قهرية أو تحايلية أو مصطنعة بدعوى أنه كتاب الله فحسب. لأنه إن كان هو كتاب الله حقاً فلن يخشى تسليط الأضواء عليه أو يفزع من الحجة والمقارعة وإلا فإنها لمهانة أن نحاول حمايته بالقوة الغاشمة أو قتل البديهة والمنطق والتفكير !! .....

* * *

ومع أنه قد سبق لنا أن قدمنا للمكتبة العربية ثلاثة كتب فى هذا الموضوع وهى: «فكرة عن الكتاب المقدس» و «مصادر الكتاب المقدس» و «المسيحية بين الكتاب المقدس والتقليد» مع أربعة كتب لاحقة. وهى: «صدق كلمة الله واثبات وحيها» و«الكتاب المقدس يتحدى مشاكل الاعتراضات» و«الكتاب يفند متاهات التفسير» و«عصمة الكتاب المقدس» وهى تستكمل إضاءة الطريق لكل باحث مخلص يرغب فى اكتشاف الحقيقة لذاتها دون تحيز أو استخفاف بعيداً عن وشوشة الشك والريب وسخرية اللامبالاة !! وقد نفدت هذه كلها تقريباً مما اقتضى ظهور هذه الطبعة الثانية!!

ولما كان الكتاب المقدس دائماً هو الصخرة الأبدية التى تحطمت عليها قرون الوعول، وسنديان الدهور الذى حطم جميع المطارق وبقى كما هو. لذلك فإننا نثق بأنه سيخرج من مواجهته هذه لدعوى التحريف المزعومة ظافراً منصوراً ورايته مرفوعة إلى الأبد مهما بلغت حملات التشكيك الموجهة ضده بمطاعنها العديدة وعباراتها التى لا تليق !!

فقد وقف هذا الكتاب تجاه كل الاجيال وهو غير عابىء بمدح أو تعيير، وبحرية مدهشة سرى هذا الكتاب فى تاريخ البشرية، وشهد عنه ألوف من البشر ليس فقط أنهم لم يملوا قط من قراءته ودرسه ولكن أيضاً قد ظهر لهم باستمرار انه أعظم وأغنى وأعمق كتاب ظهر على الاطلاق حتى دعى بحق **"كتاب الكتب"** !!

ويؤكد تقديس هذا الكتاب بعهديه القديم والجديد أى التوراة والإنجيل وحدة الجذور المشتركة بين اليهودية والمسيحية ـ وهما مادته وموضوعه ـ عنوان الدين الصحيح، الأولى بدايته والثانية نهايته إذ أن الدين الصحيح لابد أن يكون واحداً ومتكاملا لوحدة مصدره !!

هذا وقد اثبت العلامة «ايفان بانين» هذا المصدر الإلهى للكتاب المقدس مبيناً أنه قد قام على قواعد حسابية هى البرهان الذى لا يدحض على وحى هذا الكتاب وعدم قبوله التحريف أو التبديل مما احتواه كتاب «بديع الحساب فى تنزيل الكتاب» الذى سنعيد طباعته !!

ولهذا فإننا نستودع هذا التأليف بين يدى صاحب الكتاب، وهو يحتوى على ثلاثة اجزاء وهى «فكرة عن الكتاب المقدس» و«تفنيد الادعاء بتحريف الكتاب المقدس» و«هل الكتاب المقدس هو كلام الله» ....

ونسأل منه تعالى التوفيق وان يهدينا إلى محجة الصواب وسواء السبيل.

المؤلف

الجـــزء الأول

فكـــرة عـــن الكتـــاب المقـــدس

(١)

حقائق عامة

(ا) ما هو الكتاب المقدس؟

هو مجموع الأسفار الإلهية المكونة للعهدين القديم والجديد والمؤلفة من ٦٦ سفراً ـ ٣٩ العهد القديم و ٢٧ العهد الجديد ـ ومجموع فصولها ١١٨٩ اصحاحاً وآياتها ٣١١٧٥ مؤلفة من ٨١٠,٦٩٧ كلمة. وهذه مركبة من ٣,٥٦٦,٤٨٠ حرفاً وفى الأصل جاء فى ٤٢٠٩٣٨ كلمة!!

وهو كلام الله المعصوم الذى أعلن لنا به الله جل شأنه عن ذاته السنية السرمدية. وعن أصل الإنسان ومصيره الأبدى. كما وليكون دستوراً للحياة ومقياساً للسلوك للفرد والعائلة والكنيسة فهو الكتاب الذى به نحيا إذ نعرف بواسطته فكر الله وغاية الوجود.

وقد تقدس هذا الكتاب وحمل دون سواه اسم «الكتاب المقدس» لأنه يعلن عن الله القدوس ثم هو يقدم لنا فى حياة المسيح أكمل وأوضح صورة لحياة القداسة. ولأنه يطالبنا بأن نكون قديسين ويوجد فى نفوسنا بالإيمان التأثير المقدس الذى يخلق فينا القداسة. التى هى طريق السعادة الأبدية. ولذلك فهو ينفرد بالسيادة المطلقة على الكتب الأخرى بل من الممكن جداً أن يغنينا عنها جميعها وذلك لأنه هو كتاب الله الوحيد بلا أدنى ريبا

(ب) لمحة عنه

يرجع تاريخ البدء فى كتابة الكتاب المقدس إلى ٣٤٧٢ سنة مضت. فقد دعا الله موسى ليبدأ فى تدوين أسفاره الخمسة الأولى عام ١٥١٢ قبل الميلاد. واستغرق فى تدوينه حوالى ١٦١٠ سنة فقد سجلت آخر أسفار العهد الجديد عام ٩٨ ميلادية.

ولقد قام بكتابته أشخاص كثيرون لم يعرف منهم سوى ٤٠ شخصاً أولهم موسى وآخرهم يوحنا. ولكن رغم تعدد الكتبة فان وحدة هذا الكتاب تدل على أن الله هو الكاتب الحقيقى له وأنه هيمن على وحيه وجمعه بروحه القدوس تأييداً منه تعالى لما وعد به من حفظ كلمته والسهر عليها وإلا فكيف كان يتسنى لكاتبيه وهم يكتبون بالاستقلال عن بعضهم البعض أن يخرجوه إلى حيز الوجود!؟

أما اللغات التى أعطانا الله بها كتابه فهى العبرية والكلدانية واليونانية وقد ترجم منها إلى الآن أكثر من ١٦٦٠ لغة ولهجة وهذه الترجمات الموجودة الآن فى العالم ومن بينها ترجمتنا العربية حكمها حكم الأصل

تماماً لأنها تمت بغاية الدقة والضبط. ويؤيد ذلك اقتباس المسيح وكتبة العهد الجديد مراراً من الترجمة السبعينية وهى ترجمة للعهد القديم إلى اليونانية وقد اقتبسوها كأقوال موحى بها.

(ج) طرق كتابته :

أولا - باصبع الله : كما فى لوحى الشريعة وحدث هذا مرتين (خر٣١:١٨).

ثانياً - بالوحى الإلهى : فقد تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس.

ثالثاً - بالتاريخ المقدس : وهذا التاريخ خاص بشعب الله فى العهدين القديم والجديد.

(د) كيف وصل إلينا ؟

أمر الله موسى بالبدء فى كتابة كتاب خاص بعلاقته مبدئياً مع شعبه (خر ١٧:١٤، ٢٤:٤) وتولى بعده الكتابة يشوع وصموئيل وغيرهما. فقد استودع موسى التوراة إلى يشوع الذى سلمها إلى شيوخ إسرائيل وهؤلاء سلموها إلى الأنبياء وسلمها الأنبياء إلى السنهدريم (مجمع اليهود الأعظم) الذى أسسه نبى الله وكاهنه عزرا. ولقد كان الله يضيف إلى كتابه رويداً رويداً حتى اكتمل العهد القديم.

ولقد تخصص طغمة الكتبة لنسخ الكتاب وكانوا من سبط لاوى. وكانت قوانين النسخ غريبة مشددة منها الاستحمام قبل البدء فى الكتابة وغسل الريشة قبل كتابة اسم الجلالة وان وجدت ثلاثة أخطاء فى نسخة ما كانت تمزق. ومن شدة احترامهم لكلام الله كانوا يتلفون بكل تجلة واكرام النسخ القديمة عندما تبلى من الاستعمال أو تطمس من قبلات قارئيها. وينسخون بدلها نسخاً جديدة باعتناء تام. وكانوا يقولون هذا كتاب حى يجب أن يبقى دائماً جديداً لا يعتريه القدم لأنه كتاب الله.

وقد ظن بعضهم أن بنى إسرائيل لم تكن لديهم غير نسخة واحدة من التوراة حتى إذا ما ضاعت وأرادوا تجديدها عمدوا إلى الروايات اللسانية ـ وهذا الظن باطل لأنه بعد أن أكمل موسى كتابة التوراة فى كتاب إلى تمامها أمر اللاويين بأن يضعوا كتاب التوراة هذا بجانب تابوت عهد الرب ـ وأن ينسخوا منها نسخاً لتكون لدى الكهنة والقضاة وتقدم واحدة منها لكل ملك عندما يجلس على كرسى مملكته ـ وقد شهد يوسيفوس المؤرخ اليهودى بأنه أعطى لكل سبط نسخة بأمر موسى.

ومن المحقق أن هذه التوراة كانت موجودة أيام داود وهى التى أشار إليها بقوله عنها «كم أحببت شريعتك» وقد أوصى بها ابنه سليمان حين قربت أيام وفاته. وقد كانت التوراة موجودة فى زمن ملوك يهوذا حتى أن يهوشافاط أرسل لاويين معهم سفر شريعة الرب

وجالوا فى جميع مدن يهوذا وعلموا الشعب. وفى أيام يوشيا الملك وجد حلقيا الكاهن سفر شريعة الرب بيد موسى وسلمه إلى شافان الكاتب وشافان أتى به إلى الملك وقرأ فيه أمامه.

أما الزعم بانعدام التوراة فى واقعة سبى اليهود عن يد نبوخذ نصر فيدحضه قول دانيال: «فهمت من الكتب عدد السنين التى كانت عنها كلمة الرب إلى أرميا» (٢:٩) وهذه هى الكتب الإلهية حيث أن سفر أرميا هو من ضمنها. وفضلا عن ذلك فقد ورد فى التوراة ما حدث بعد رجوع بنى إسرائيل من السبى البابلى وتدشينهم الهيكل الثانى:

إذ قال الشعب لعزرا الكاتب أن يأتى بسفر شريعة موسى التى أمر بها الرب إسرائيل فأتى عزرا الكاتب بها أمام الجماعة... وقرأ فيها أمام الساحة من الصباح إلى نصف النهار (نحميا٨) وهذا يدل على أنهم عقب العودة من السبى وجدوا معهم فى الحال نسخة من التوراة قرأوا فيها لأن نسخ التوراة كانت تحمل معهم أينما ساروا.

وكان عزرا أول من قام بجمع الكتابات المقدسة فإليه ينسب اليهود برأى واحد ترتيب أسفار العهد القديم القانونية وجمعها.

وحوالى عام ١٥٠ ق.م حاول انتيوخس الملك الشرير إعدام جميع نسخ التوراة الموجودة حينئذ وفعلا أحرق جميع النسخ التى حصلت له ولكن ليس معنى ذلك أن جميع أسفار العهد القديم أحرقت لأن المكابيين جاهدوا للتحفظ على بعض نسخ منه كانت فى حوزتهم وقيل أن بعضاً منها وجد مختلطاً بدمائهم دليلا على أن احتفاظهم بها كلف الكثيرين منهم حياتهم.

ومن ثم فقد كانت هناك نسخ من التوراة باقية وهى التى أمر بطليموس الثانى بترجمتها إلى اليونانية وتم ذلك على يد سبعين شيخاً من علماء اليهود المتضلعين فى اللغتين العبرانية واليونانية. ولذلك عرفت «بالترجمة السبعينية» وكان ذلك بالاسكندرية. وهى التى اقتبس منها المسيح ورسله وحث اليهود على تفتيشها ووبخ الصدوقيين على عدم معرفتها.

أما ما يسميه بعضهم "بالأسفار المحذوفة" فهى كتب غير موحى بها تحوى تاريخ الفترة الكائنة بين العهدين القديم والجديد. وقد ترجمت مع الكتب الموحى بها فلما وجدتها الكنائس القديمة ملحقة بالترجمة السبعينية قبلتها باعتبار أنها وجدتها مترجمة معها باللغة السائدة ذلك الوقت. وأما البروتستانت فانهم أخذوا

عن التوراة العبرانية التى لم تضم هذه الأسفار، لأنها رغم دقة ما أثبتته من حوادث تاريخية وتشبعها بروح الكتاب المقدس الموحى به لم يعتقدوا بوحيها. ووجود هذه الأسفار على هذه الحالة يدل على شدة تدقيق المسيحيين واليهود فى أمر الكتب المقدسة فهم ليسوا بالذين يضيفون كل ما يجدونه أو يسمعونه إلى كتبهم الموحى بها.

هذه لمحة عن العهد القديم. أما العهد الجديد فقد قام بكتابته الرسل ووجدت نسخ منه مكتوبة على الرقوق وقد استلمته الكنائس فى العصر الرسولى نفسه من أيدى الرجال الذين كتبوه أنفسهم.

وقد ظل الكتاب المقدس مدة ٢٠٠٠ سنة تقريباً (من ١٥٠٠ ق.م إلى ١٥٠٠ م) ينسخ باليد وبدقة تامة. وكانت النسخة الكاملة منه بعد القرن الأول المسيحى باهظة الثمن ونادرة الوجود فكانوا يربطون النسخة التى يجدونها فى عامود الكنيسة الأوسط. واستمر الحال هكذا إلى أن اخترع جوتنبرج الألمانى الطباعة فكان الكتاب المقدس أول كتاب طبع على نظامها الحالى المعروف !!

* * *

يتبين لنا من هذه المعلومات التى قدمناها كيف أن الكتاب المقدس معجزة لم يعرف لها العالم مثيلا .. انه الكتاب الوحيد الذى أثر فى تاريخ البشرية بتغيير حياة البشر نحو التقدم الشامل أكثر من كل الأشياء مجتمعة معاً !! انه كتاب فريد ليس له مثيل ولا يقبل البديل فهو وحده الذى يحمل تسمية «المقدس» ... وليس ذلك مبالغة فى التقدير ولا لأنه كتاب دينى ولا لأن شخصاً ما أحب أن يعطيه هذه التسمية ـ بل الوحى نفسه هو الذى ميزه بذلك عن سائر الكتب الأخرى. فكل من يستمر فى قراءته يجب أن يعرف لماذا تسمى هكذا !؟

* * *

حقاً قد دعى هكذا لأنه أعلن عن الله القدوس فهو تعالى معلن فيه بهذه الصفة أكثر من أى كتاب أخر ـ وهو يقدم صورة تاريخية لحياة القداسة فى شخصية يسوع المسيح الفريدة النوع !! والتى اضحت المثل الأعلى للكمال وعن طريق ابرازها فى الكتاب المقدس تنطبع صورة هذا الكمال فى قابليها بل وتنتشر مبادئه فى ربوع الأرض فيتعلم بذلك سكان المسكونة القيم الاخلاقية العليا والمبادىء السامية مما يظهر بالاكثر فى المؤمنين به ـ وهذا أكثر من الكفاية لتبرير تسميته هذه !!

(٢)

وحـــى الكتـــاب

«كل الكتاب هو موحى به من الله» (٢ تى ٣:١٦)

معنى الوحى هو إبلاغ الحق الإلهى بواسطة بشرية. واللفظة اليونانية المترجمة «موحى به» هى حرفياً «متنفس به» «أو مستمد نفسه من الله» وهى تمثل لنا الكيفية التى كان الروح القدس يوصل بها الحقيقة إلى ذهن النبى. وهذه الكيفية أمر غامض مع كونه بلا ريب حقيقياً. وقد جاء الوحى تدريجياً بطبيعة الحال إلى أن صار تاماً وكاملاً. وحينئذ لم يعد هناك وحى كتابى إذ قد تم الإعلان الإلهى الذى أعطاه الله للبشر فى ما احتواه كتابه العزيز ــ الكتاب المقدس !

ولا يعنى الوحى فقط أن كتبة كتاب الله كانوا ملهمين حفظتهم قوة الروح القدس أثناء الكتابة من كل خطأ أو تقصير أو زيادة. بل أن الكلمات نفسها كانت بوحى إلهى ولذلك سميت بكلام الله. لأن الوحى المعصوم تحكم فى اختيار الكلمات كلمة كلمة فهو الذى اختار لكتبته الالفاظ التى كان عليهم أن يدونوا بها أقواله. وهذا الوحى اللفظى معناه أن النسخ الأصلية للكتاب المقدس موحى بها لفظياً كتبها أناس تحت ضبط روح الله وإرشاده فجاءت كاملة معصومة من الخطأ ــ ومع ذلك ليس الوحى مجرد إملاء أعطى بطريقة آلية تنكر شخصيات الكتبة ولا هو مجرد إلهام فطرى فى مستوى عبقريات الفنون والآداب !

وأما تسجيل الوحى لأقوال أناس أشرار فليست تلك الأقوال هى الموحى بها بل تسجيلها وذلك لحكمة رأى الله تعليمها للبشر بهذه الطريقة.

ولقد أجمع الاتفاق على أن مصدره الله لأنه لو كان كتبه أناس أو ملائكة صالحون فكيف ينسبونه لله زوراً. وإن كان كتبه أناس أو ملائكة أشرار فكيف يحذرون فيه من الخطية ويحضون على حياة البر. إذن لابد أن يكون مصدره الوحيد هو وحى الله المباشر.

ولقد قامت الأدلة القاطعة على صدق وحى الكتاب المقدس منها أدلة خارجية وأخرى داخلية أهمها:-

أولا : الأدلة الخارجية

١ - **المنطق** : فالاستنتاج والدرس لا يكفيان للوصول إلى الله جل جلاله وأيضاً الاعلان الكامن فى الطبيعة رغم

كونه يعلن قدرته السرمدية لما فيه من أسرار وتنسيق ولكنه لا يريح نفساً تثقلت بالخطية ولا يحل لها مشكلتى الموت والأبدية. ولذلك فالاعتقاد بوجود الله نفسه والحاجة إلى حل مشكلات هذا الوجود يستلزمان وجود إعلان إلهى مكتوب.

ومن ثم قال «كانت» فيلسوف الأجيال الحديثة فى الطبيعة أن «الانجيل هو المصدر الوحيد للحقائق الروحية بعد أن حاول العقل عبثاً الاحاطة بها» كذلك رفض الفيلسوف «هيجل» أن يقرأ غير الكتاب المقدس وهو على فراش الموت وقال: «لو امتد بى الأجل لدرست الكتاب المقدس لأنى وجدت فيه وحده مالا يستطيع العقل أن يكتشفه».

٢ - **العقل** : فالاعتقاد بوجود الله يحتم بأنه تعالى يعلن لنا ذاته فى إعلان مكتوب باعتبار أن ذلك أفضل وسيلة لحفظ الحق إذ هو أثبت من الذاكرة والتقليد. وهو لذلك خير ضمان لتناقل الإيمان من جيل إلى جيل. إذن فالله جلت قدرته هو مصدر هذا الكتاب. وهذا ما يؤيده العقل تماماً فهو الكتاب الإلهى الوحيد الذى لم ير علماء الاجتماع وشعراء العالم كله خيراً منه ولا مثله. ولذلك فقد فضلوه على سائر مؤلفات العالم. واقتبسوا منه فى مؤلفاتهم ورواياتهم وأشعارهم ومدوناتهم التاريخية

٣ - **التواتر** : أى ثبات هذا الكتاب العجيب كما هو منذ وجوده إلى هذا اليوم رغم المحاولات الهائلة لمادشاته. فقد عاد الكتاب المقدس من كل هذه الميادين الدموية فائزاً منصوراً لأنه هو الكتاب الوحيد الذى قد جردت عليه سيوف أقوى المحاربين. ومع هذا فلم تزده الوقائع كلها إلا ثباتاً على ما هو عليه كما هو: بأسفاره. وفصوله. وكلماته. وحروفه. ونقط حروفه. بلا نقص ولا زيادة. ولم تزده المحن إلا نشاطاً وانتشاراً بين الناس. وها هو شاهد عيان كما ترونه الآن.

ثانياً : الأدلة الداخلية

١ - **الشهادة** : فقد شهد هذا الكتاب لدعوى وحيه لأننا نرى فيه أن الله خاطب موسى وأمره بتأليف كتابه ففعل. ونرى فى أسفار الأنبياء أمثال العبارات «هكذا يقول رب الجنود» «وكانت كلمة الرب إلى النبى» و«هكذا تكلم الرب» نحو ٢٦٠٠ مرة مما يحمل على التفكير على أن الله مصدره وليس هو من مصدر بشرى. فقد تكلم به الرب الإله وطابع الوحى ظاهر فيه كله. ومحتوياته إذن هى إعلانات إلهية للبشر تفوق كل ما يدور بخلدهم. ومن يدرسه دون غرض يقتنع تماماً بأنه كتاب الله تنزيل رب العالمين. حتى أن البعض من الوثنيين وهم يترجمونه اعترفوا بهذه الحقيقة.

٢ - **السلطان** : فان ما يقوله هذا الكتاب له سلطان نهائى إلهى لا يناقش

ولا يرد، حتى أن الشعوب التى دانت به ارتقت وسمت على تلك التى رفضته أو تمحكت فى مصدره وأهملته، ونلاحظ أن هذا السلطان واضح يصل إلى طرق الوحى التى بها وصلنا هذا الكتاب وتتلخص فى:-

(أ) - **النطق الالهامى:** وهو التكلم برسائل إلهية بحسب مقتضى الحال.

(ب) - **الرؤى النبوية:** وهى التى يحصل بها النبى على رسالته فى حالة الغيبة.

(ج) - **الشعر الروحى:** وهو منطوقات الهيام ويتميز بالروعة والجمال وعمق المعانى.

(د) - **التمثيل التطبيقى:** وهو التعبير عن حادثة أو نبوة بطريق التشبيه الاستعارى.

(هـ) - **التدوين بالاعلان المباشر** ويراد به تبليغ الله حقيقة لم تكن معروفة قبلا.

وكل هذه الطرق تؤكد بأن هذا الكتاب مكتوب بروح الله بواسطة الالهام المباشر.

٣ - الاختبار : وهذا الدليل القوى قد شهدت به القلوب المتغيرة. فعند الاصغاء إلى هذا الكتاب يشعر الانسان بأن الله يكلمه، وكلماته المؤثرة تغير الحياة بشهادة كل مختبر لتأثيرها.... وما أصدق ما قيل فى هذا الشأن بأنه ليس لأى كتاب آخر خلافه مثل هذا التأثير العجيب لأنه يقيناً كلمة الله. والمؤكد أن سماعه أو قراءته عدة مرات يغير مجرى الحياة. ولقد شهد له ملايين من البشر ليس فقط بانهم لم يملوا من قراءته بل أنه يؤثر فيهم باستمرار. ويمكننا أن نتحدى أعظم الكفرة بأن يدلنا على شىء عظيم مثل هذا الكتاب يؤثر فى الناس هكذا. فهل يضارعه كتاب آخر فى ذلك ؟ هذا ويعوزنا الوقت لو تحدثنا عما هو مكتوب فيه من المواعظ والتعاليم والمبادىء السامية وغيرها مما يتصل بشتى نواحى العلاقات البشرية مما لا يوجد له مثيل فى أى كتاب آخر مهما كان نوعه أو تسميته !! فهو دستور كامل لكل فرع من فروع حياة البشر يجد فيه المؤمنون خاصة كل ما يحتاجون إليه من أنواع الارشادات والنصائح والتحذيرات والانذارات !

فمثل هذا التأثير فى الأمم والأفراد لا يبارى فهو للدين الصحيح والضمير الصريح محكمة النقض والابرام إذ هو من وضع وتأليف الله، ومعرفة الذين استخدمهم فى كتابته لا تمس بأى حال حقيقة وحيه ! ... وكذلك الحال بالنسبة لطريقة وحيه التى تعتبر سراً من الأسرار الفائقة التى تسمو فوق الادراك ! ... ولقد شهدت الآثار والأديان لصدق وحيه ولم تستطع هجمات منتقديه أن تنال من حقانته أو تتمكن من الطعن فى صحتها قط. مهما أحاطوا أنفسهم بهالات من المعرفة العقلية العليا ...

وهكذا أجمعت الأدلة ــ خارجية وداخلية ــ على تأييد حقيقة وحيه ومصدره الإلهى !!

(٣)

أقســـام الكتــاب

«ينطوى الكتاب المقدس على جزءين متميزين وهما العهد القديم والعهد الجديد ونحن نأخذ العهدين على ماهما عليه»

الكتاب المقدس وهو المعجزة الفريدة القائمة فى العالم والتى لم ولن يوجد لها مثيل يحتوى على عهدين: القديم والجديد. وكان اليهود يقرأون فى المجامع كل العهد القديم مرة فى السنة. وقد قسموه إلى ثلاثة أقسام هى: الناموس والأنبياء والمكتوبات المقدسة. فالناموس هو كتب موسى الخمسة. والانبياء على قسمين: أوائل يبتدئون بيشوع وأواخر يبتدئون بأشعيا. أما المكتوبات المقدسة فهى الاسفار الشعرية ومعها راعوث ومراثى أرميا واستير ودانيال وعزرا ونحميا.

أما تقسيم الاسفار إلى اصحاحات وآيات فقد أدخل على التراجم لتسهيل الفهم، ولذلك يجب أن نربط العبارات بعضها ببعض بغض النظر عن نهاية الاصحاح أو بداءته.

وبحسب الترتيب الحالى للكتاب المقدس نجده ينقسم إلى الاقسام الآتية :-

١ - **الشـريعة** : «من التكوين إلى التثنية» وقد نسبت إلى موسى حتى أن الشرائع التى تضمنتها سميت «ناموس موسى» ويسميها اليهود «التوراة» ومعناها فى العبرانية «تعليم» ويتركز جوهرها فى الوصايا العشر التى بين المسيح أن لها معانى روحية أعمق. والشريعة فى الكتاب هى أساس دساتير العالم وقوانينه مما يثبت أصلها الالهى، وكان تدوينها بالاعلان المباشر، ولهذا تميز موسى بكونه «كليم الله».

٢ - **التــاريخ** : «وهذا القسم يبدأ بسفر يشوع وينتهى بسفر استير» وفيه يختفى بعض المؤرخين الملهمين شخصياتهم بينما يجمعون المواد بعد البحث المضنى ويستخدمون مراجع كثيرة فى ذلك قد أشير إليها فى الاسفار المقدسة. وينسب التقليد اليهودى كتابة هذا القسم إلى صموئيل النبى من بعد يشوع، ومن بعدهما مؤرخون آخرون. وقد تولى الوحى هنا ترتيب الحوادث: فكان الروح القدس يقود المؤرخين للحوادث التى سجلها الكتاب فى هذا القسم إلى انتقاء ما يريده من المراجع التاريخية المشار إليها كسفر ياشر وسفر حروب الرب وغيرهما. وقد ظن البعض

أن هذه أسفار ضائعة من الكتاب المقدس وذلك لأنهم لم يدركوا أنها مراجع أحتوت التاريخ المقدس الذى انتخب منه الوحى ما رآه مناسباً.

٣ - **الشعـــر** : «وهذا القسم يحتوى على الكتب الشعرية الخمسة، وهى أيوب والمزامير والأمثال والجامعة ونشيد الانشاد» وفيها تسجيل للاختبارات البشرية، وكشف للخفايا والرغائب التى فى قلوب القديسين ... وهذا الشعر الروحى فى الكتاب المقدس بأنواعه من شعر طويل وموسيقا ومرثيات ومقطوعات يأخذ مكان الصدارة فى الشعر: فلا يوجد فى العالم شعر كالذى جاء فيه. ولا يوجد مثيل لمزمور ٢٢ ولا ما يشبه سفر أيوب الذى يصف البطولة وتعاملها مع سر الألم. كذلك المزامير التى استخدمتها الكنيسة فى كل الأجيال فى تعبدها تلذذاً بكلماتها الملهمة.

٤ - **النبـــوة** : «وهى تنقسم إلى قسمين: الأنبياء الكبار من أشعياء إلى دانيال، والأنبياء الصغار من هوشع إلى ملاخى». وقد أطلق على الأنبياء «الكبار والصغار» نظراً لكبر أسفارهم وصغرها إذ ان جميع الانبياء أمام الرب سواء. وتعتبر النبوة معجزة لا يمكن تحديها، فما فى الكتب الاخرى بالنسبة لها يعتبر كالاساطير أو الخرافات. وهى القسم الرابع الذى به يختم العهد القديم وفيها نجد حوادث مجىء المسيح وموته مسطرة قبل حدوثها بمئات السنين. كما أنها تحتوى على حوادث المستقبل فهى دليل أساسى على صدق الكتاب.

٥ - **البشائر** : «وهى أربعة من متى إلى يوحنا» ويبدأ بها العهد الجديد، وهى تقدم لنا الانجيل فى لغة بسيطة سلسة، كما تقدم لنا حياة المسيح من الميلاد إلى الصعود. وهذه الحياة تعتبر أعظم معجزة لا نظير لها ويقوم عليها رجاء البشرية. ومن عديد الاقتباسات التى تحدث بها المسيح من نصوص العهد القديم نقف على الربط بين العهدين ونحصل على شهادته لصدق حقائق العهد القديم.

٦ - **الرسائل** : ويعتبر سفر الاعمال مقدمة لها وتنتهى برسالة يهوذا، وهى تبين لنا بداية عمل الروح القدس، وبدء تاريخ الكنيسة، وأوجه نشاطها، وامتدادها، وكتابات الرسل بشأن تنظيمها، وتوجيهها، وحفظها من الضلالات فى العقيدة والسلوك. وهى غنية بالتعاليم الالهية السامية التى لو عمل بها العالم لاحترم اسم الله وكف كل إنسان عن الخطأ، وما قامت حروب ولأغلقت المحاكم والسجون أبوابها، وبالاجمال لعرف كل إنسان واجبه من نحو الله والناس.

٧ - **الاعلان الأخير** : وهو مبين بسفر الرؤيا، آخر أسفار هذا الكتاب.

وفيه نجد صورة لتاريخ الكنيسة العام ممثلا فى الكنائس السبع فى أصحاحاته الأولى. ويعقب ذلك حوادث الزمن الآتى. ابتداء من فتح الختوم السبعة. إلى فترة ظهور الوحش ونزول الضربات من السماء. التى يعقبها معركة هرمجدون. وفيها تقرر السماء مصير الأرض. ويصير الملك للرب. وتبدأ الالف سنة المجيدة. ويختم بالعصيان الأخير. ثم دينونة الاشرار من ملائكة وبشر أمام العرش الابيض العظيم. وعندئذ تنحل العناصر وتظهر السماء والأرض الجديدتان.

* * *

هذه لمحة وجيزة عن أقسام الكتاب. ولسنا ندرى كيف كان يجد المجتمع نفسه من الوجهة الأدبية إذا رفعنا ما فى هذا الكتاب من وصايا وشريعة هى مصدر أحكام وقوانين العالم ـ وكذلك الحال فيما يختص بإعلانه بأنه ليس سلطان إلا مرتباً من الله. فأين نجد تصريحاً بأن نقلل من دقة تعليمه لاجل ان يتناسب مع الظروف !

إنه من الوجهة الفردية يطالبنا بأن لا يبرح من فمنا. بل نلهج فيه نهاراً وليلا. ونعمل بما هو مكتوب فيه حتى ننجح ونفلح. فهو كتاب يكلفنا بالمسئولية الشخصية بأن نعرفه ونطيعه. وأما من الوجهة الجماعية. فإننا نجده كتاب الكل ووصاياه للجميع. ولا يوجد أى ظرف أو مشكلة لا يحلها هذا الكتاب. بل ويقدم الإرشاد الكافى بخصوصها !!

* * *

فاذا ما رجعنا إلى نبوات الكتاب المقدس فاننا ـ كما يقول العلامة الالمانى بتكس ـ نجدها من أعظم العلامات على سلطان وحيه الإلهى. وحقاً ليس هناك كتاب آخر تجاسر أن يعلن المستقبل غير هذا الكتاب !! فكل ما كتب فيه عن أية أمة قد تم بالحرف الواحد

* * *

ولا شك أن تاج النبوات لم يكن فقط فى حوادث المستقبل بل فى شخص المستقبل وهو «المسيا المنتظر». هذا هو الذى وصفته النبوات بكل دقة وبصورة عجيبة. انه الشخص الوحيد الذى حفظت لنا النبوات انسابه وذكرت طريقة ميلاده ومكانها وزمانها وتعاليمه ومهمته وموته وقيامته وصعوده ـ وكل هذا كتب عنه قبل ميلاده بمئات السنين ـ فترى من كان فى استطاعته أن يصور حياة شخص لم يولد بعد. غير الله وحده !! واذ اننا قد وجدنا ذلك فى هذا الكتاب المدهش فانه حقاً "**كتاب الله**" !!

* * *

(٤)

عظمة الكتاب

«يعتبر هذا الكتاب منذ القدم تحفة نادرة بل أثمن ما يملكه الإنسان»

لاشك أن كل الكلام يقصر عن وصف كتاب الكتب بل أعظم كتاب فى العالم على الاطلاق وذلك لأنه يفوق كل الكتب الأخرى من جميع الوجوه. والاعجاب به يتزايد باستمرار مؤكداً بأنه لا يستطيع أحد غير الله أن يتكلم بمثل كلماته.
وتتجلى نواحى عظمته فى الوجوه الآتية:-

(أ) وحدته الاعجازية :

رغم طول الزمن الذى كتب فيه، ورغم اختلاف نماذج آدابه السامية، ورغم تنوع من قاموا بكتابته، فان بين أجزائه اتفاقاً واتحاداً دقيقين واضحين يشملانه من أوله لآخره. وهذا لا يمكن تعليله إلا بالتسليم باشراف وسيطرة فكر الله على كتابته لدرجة تصل إلى المقاطع والحروف.

فوحدته شاملة. وهى أيضاً وحدة روحية باطنية عميقة جعلت منه كتاباً فائقاً للطبيعة معصوماً بسلطان إلهى. وهذا العمق هو ميزة كلمة الله الفائقة الحد، السرمدية البقاء، والتى لا يعبر عن قيمتها. فلكل كلمة سلطانها وتأثيرها العميق عند مخاطبة القلوب بها، كما أن هذه الوحدة تاريخية نبوية تشمل كل العصور.

وتتميز هذه الوحدة بأنها حية تقدمية تدريجية، وعندما نتنقل بين أجزائه نكتشف نوع الحياة التى يريد الله انطباعها علينا.

وهى وحدة فى الغرض والموضوع، فهو يقدم لنا كل ما هو صادق وسط أكاذيب العالم. وهو يسير نحو الغرض فى دقة وبساطة مصحوبتين بسعة وعمق، ولذلك احتفظ بتأثيره رغم ترجمته لأكثر من ألف لغة تقريباً، واستحق أن يكون معلم الأجيال، لا يتلون ولا يحابى ولا يجامل. بل هو الكتاب الوحيد الذى نال البطولة الخالدة والمجد العظيم، والذى قدم من الأهداف السامية والمثل العليا ما لم يقدمه كتاب آخر.

لهذا تجده يجذب التفاتنا بجاذب لا ينتهى، ويمنحنا بركة عظمى

عندما ندرس فيه. ورغم قدمه فان طلاوته دائمة يستمتع بها كل جيل ـ لأنه الاعلان الأبدى المبارك.

والعجيب فى محتوياته أنه يبدأ بالفردوس المفقود وينتهى بالفردوس المردود. يبدأ بالخليقة الساقطة وينتهى بالتمجيد الأخير بعد وصف الحوادث المتوسطة. حقاً لن يوجد لهذا الكتاب منافس لأنه يناسب حاجة كل طبقة من المجتمع. فهو كتاب الجميع الذى يتعدى حدود الزمن.

(ب) تأثيره العجيب :

لقد أخذ هذا الكتاب السامى آلاف السنين ليأتى الينا ومع ذلك حين يتكلم نجد «غمراً ينادى غمراً» بتجديد لا يعتريه القدم. فيلمس الأرواح والقلوب بصورة لا توجد فى كتاب آخر. معلناً لها الولادة الجديدة التى لا تزال مثار دهشة العالم وتعجبه.

سر سحره ليس فى دقته الفريدة ولا حرارته المتأججة حتى لقد وصف بأنه مصنع الحياة فحسب. بل هو كالموسيقا الفائقة التى تحمل بين طياتها صوت الله السرمدى. فنجد فيه نور الهدى. وراحة الحق المعلن. حتى أن ربوات النفوس قد استقرت عليه إلى الأبد.

أنه لؤلؤة الوجود التى تلقى أشعتها فى كل اتجاه. هو العكاز والبلسم والمرساة المؤتمنة لكل الأجيال. هو رسالة الرجاء. وكل من يقرأه أو يسمعه يميز فيه صوت الله الهادى إلى سبيل الرشاد. فهل من غرابة بإزاء تأثير هذا الكتاب فى رفع حياة المتأثرين به إلى درجة سامية ؟ وهل بكثير أن أحتل المكان الأول والمكانة الأولى فوق كل كتاب ؟!

فهو الكتاب الذى حوى جميع كنوز الحكمة (بعلومها وفنونها وآدابها). يستطيع الطفل أن يفهم ما جاء به بينما يستعصى على الفيلسوف المتكل على عقله: فهو شعلة فى ظلام العالم. وهو دستور التغيير والتهذيب للافراد والشعوب.

به نستطيع أن نواجه كل ظروف الحياة بحالة معنوية عالية. وهو الرفيق الأمين الذى نجد فيه حاجاتنا لكل مناسبة. فهو المصدر الوحيد لتعزية القلوب الحزينة ومنحها السلام والسلوان.

(ج) شموله المطلق :

فهو مكتبة إلهية عجيبة تحوى بين جوانبها كل شىء. إذ هو كتاب شامل لكل حكمة أرضية وسماوية.

والغريب أن لغته تتمشى مع أحدث الاكتشافات العلمية. ورغم أن هذه تتعدل باستمرار إلا أن حقائق هذا الكتاب ثابتة.

وما ذكره من جهة الخليقة لا شبيه له. وما أورده فى فاتحة سفر التكوين عن تكوين العالمين يتفق مع ما يقول به العلم الحديث، بل أن نظام هذا التكوين كما قال به علم الجيولوجيا هو نفسه ترتيب موسى فى الاصحاح الأول من سفر التكوين.

وقد ذكر الكتاب المقدس عن كروية الأرض، فان أشعياء النبى قد سبق جاليليو العالم الايطالى بعشرين قرناً فى الاعتراف بكروية الأرض، كما سبق أيوب العلم الحديث بزمان بعيد حين اكتشف بأن «الأرض معلقة على لا شىء فى الفضاء» كما تحدث عن ترنم كواكب الصبح ويقول العلم بأن أشعة الكواكب تحتاج إلى حساسية أذن لالتقاطها عند الفجر الباكر. كذلك تكلم عن عقد الثريا وربط الجبار وغيرهما...

هذا بعض ما جاء فى الكتاب المقدس من الناحية العلمية. علاوة على أنه المصدر الرئيسى الذى منه عرفنا أن جسم الانسان مخلوق من تراب الأرض مع أن هذا الجسم حسب ظاهره لا تظهر فيه أدنى مشابهة بينه وبين التراب. ولا يخطر بالبال أن موسى ككاتب بشرى كانت له أدنى معرفة بأن هذا الجسد كان والتراب واحداً إلى أن أيد التحليل الكيماوى الحديث هذا الأمر فبين أن جسد الانسان مؤلف من عناصر كلها ترجع إلى التراب. فليس بعجيب أن يكشف لنا هذا الكتاب عن كل شىء وعند بحثه علمياً وجدناه كما هو مذكور تماماً !

(د) شهرته الفائقة :

وهاك بعض أقوال لمشاهير الرجال تكلموا بها عنه فى مناسبات مختلفة :

قال عنه الملك جورج الخامس: «إنه أثمن كنز فى هذا العالم».

وقال بلدوين: «لقد جذب الكتاب المقدس عدداً هائلا من النفوس بل قاد الملايين فى ربوات الأماكن إلى حياة جديدة».

وقال عنه رايت أونورابل براون: «هذا الكتاب هو مخزن كنوز روحية لا محدودة»

وقال وليم جونز القاضى: «إن هذا الكتاب يحوى من البلاغة والأدب والشعر والتاريخ أكثر مما يوجد فى باقى الكتب مجتمعة معاً».

وقال كلوريدج: «سار الكتاب مع التهذيب العقلى والأدبى للجنس البشرى فهو كتاب كل زمان ومكان».

وقال عنه ستيفنسن: «غلب الكتاب كل أقطار الوجود وهذب التاريخ البشرى».

وقال عنه هكسلى: «إنه صك الحرية للمسكين والمظلوم ولذلك لا يستطيع البشر أن يستغنوا عنه، فهو يفوق كل كتاب آخر من جميع الوجوه».

وقال روسو: «إن عظمة الكتاب المقدس تدهشنى كثيراً».

وقال نيوتن: «هو اسمى فلسفة فى الوجود ولا عجب لأنه كتاب الله

وفلسفته تحمل بين طياتها البراهين على صدقها أكثر من أى كتاب آخر».
وقال ملتون: «ليس هناك سياسة حكيمة كالتى يعلمنا إياها هذا الكتاب».
وقال فرادى: «لماذا يضل الناس وعندهم الكتاب المقدس؟».
وقال ديكنز: «الكتاب المقدس هو أفضل كتاب عرفه العالم».
وقال كانت: «الكتاب يجلب أعظم الفوائد للجنس البشرى. وإهماله يعتبر أكبر جريمة ضد البشرية».
وقال ماكس مولر: «إنه الكتاب الذى سد كل حاجاتى. فإن لم يكن هذا الكتاب إلهياً فإننى لا أفهم شيئاً».
وقال رئيس أساقفة يورك: «سعداء حقاً أولئك الذين عرفوا الكتاب منذ الطفولة فإنهم ينشأون ولهم عقول مدربة على موسيقا الكتاب».
وقال لوثر: «إنه الكتاب الذى يجب أن يكون فى يد كل إنسان نهاراً وليلا فهو كتاب جميع الناس فى كل الازمان انه ليس تحفة اثرية أو كتاباً عصرياً بل الكتاب الخالد».
وقال عنه براد فورد سمث: «إنه السجل الخالد لمحبة الله الفادية ففيه وحده أجد الله مقترباً من الإنسان فى شخص يسوع المسيح. فهو أعظم هدية من الله للبشر».
وقال داربى: «إنه الكتاب الذى يحوى جميع أفكار الله وكل معاملاته مع البشر. كذلك هو يميط اللثام عن أسرار القلب البشرى. إنه يبدأ حيث الماضى يمس الأزلية ويصل للنقطة الختامية حيث المستقبل يلامس الأبدية».
وقال وسلى: «اعطنى إياه بأى ثمن لأنه الكتاب الذى يدلنى على طريق السماء».
وقال عنه العلامة سلدن وهو على حافة الموت: «ليس كتاب فى الوجود ترتاح إليه نفوسنا عند الموت إلا الكتاب المقدس».
فلا غرابة أن قال عنه فيرار فنتون: «بأن هذا الكتاب هو المفتاح الوحيد الذى يكشف غوامض الكون ويعرف الإنسان ما خفى من أسرار نفسه».
قال عنه والتر سكوت لصديقه لوكهارت عندما طلب ان يحضر له الكتاب وسأله أى كتاب تقصد اجابه: «وهل يوجد سوى كتاب واحد يجب ان تدعوه «الكتاب» وهو الكتاب المقدس».!!

فهو الكتاب الذى سيظل يحتفظ بحيويته وقيمته إلى الأبد.

ولذلك فقد حدث الاجماع على تقديسه ولا عجب فهو الكتاب الذى لا يمل منه أبداً.

وكل هذا يدل على أن هذا الكتاب قد أضحى مثار الدهشة حقاً بين البشر لأنه كتاب الله.

ولقد أصدر المجمع العلمى البريطانى فى عام ١٨٦٥ بياناً موقعاً عليه من ١٧٦ رجلا جلبهم من جهابذة العلم أذاعوا فيه أن إيمانهم لا يقف عند حد التسليم بصدق الكتاب المقدس وصحته بل إنهم يؤمنون أيضاً بانسجامه مع العلوم الطبيعية.

والنسخة الأصلية من هذا البيان بكامل التوقيعات محفوظة فى مكتبة اكسفورد.

(٥)

موضوع الكتاب

«يقدم لنا هذا الكتاب بوجه عام أهم الحقائق التى يحتاج إليها الجنس البشرى»

يعلن لنا هذا الكتاب ذات الله وصفاته، كما يكشف لنا حقيقة الانسان وأصله. إذ يقدم لنا أصدق صورة لحقيقة حالة البشر الراهنة وسببها. وهو فى ذلك يفوق كل كتب الفلسفة والمنطق وعلم النفس والاجتماع بكل ما تحتويه مجتمعة معاً. ولا غرابة فى أن انفرد الكتاب المقدس بالسيادة المطلقة على التعاليم والكتب الأخرى جميعها.

وهو أيضاً السجل الخالد لتاريخ البشرية العام من بدايته إلى نهايته. فهو المصدر الوحيد للنور عن مستقبل البشرية والمصير الأبدى. كما أنه نبع التعزية الفريد إذ أنه يحمل رسالة محبة الله للعالم. ولا يمكن حل معضلات الحياة بعيداً عنه !!

وهو الذى يبين فى نفس الوقت طريق الخلاص بوضوح.

وأيضاً يؤكد نصرة البر فى النهاية وهزيمة الشر !!

كما يعلن مسئولية الانسان العظمى من ناحية قبول أو رفض رسالته ونتيجة ذلك.

* * *

فهو يحتوى على الحق الكامل الدائم إلى الأبد، ووصاياه المقدسة أساس التقوى فى الحياة الحاضرة والعتيدة. ورسالته لا مثيل لها إذ هى تحمل المعرفة لكل تفاصيل الحياة الأرضية. والتعليم لكل المشاكل الشخصية والنور الفاحص لكل العادات الخاطئة. كما تمدنا بالاحتياجات اليومية وتخبرنا بكل ما هو آت من حالات مستقبلة حتى تصل بنا إلى عتبة الأبدية حيث مسكن السعادة المجيد للابرار الذين يطيعونها.

حق الله الذى يقدمه لنا ــ هذا الكتاب العزيز ــ غير متغير ولا متبدل ولا يمكن تحريف حرف أو نقطة فيه. وكذلك مشيئة الله وقصده المعلنان فيه ثابتان. أنه يقدم المقياس الوحيد لأسمى سلوك وأرقى تعليم. محوره شخص

المسيح الفريد. وفى هذا الكتاب وحده كنوز الديانة وأسرار الوجود !!

لذلك تحققنا من صدقه التام كالمصدر الوحيد للنور عن مصير البشرية عند نهاية التاريخ وبداية الأبدية ـ فهو الشعلة المتوهجة فى ظلمات العالم يزداد نورها دائماً.

كما أنه المصدر الوحيد للقوة اللازمة لمواجهة الصعاب. فهو الكتاب المملوء بالمواعيد التى تضىء طريق المؤمنين السائرين مع الله.

فهو الكتاب الوحيد الذى به نجتاز كل أزمات الحياة مهما يكن نوع المشاغل والظروف التى تحيط بنا فيها. فلنحيا به يوماً فيوماً بل دقيقة بعد الأخرى. لأنه الكتاب الذى يجب أن يسيطر على كل نواحى الحياة ويطبعها بما يقرره الله.

كتب عنه أوزوالد سمث المعاصر يقول: «أمام الفكر الحر غير المتعصب لا يمكن أن يوجد أدنى شك بأن الكتاب المقدس ليس فقط كتاباً عظيماً بل هو أعظم كتاب فى الوجود. ذلك لانه الكتاب الوحيد الذى يحتوى على فكر الله. ويكشف حالة الانسان. ويعلن طريق الخلاص. ويبين نهاية الخطاة ومستقبل المؤمنين ـ تعاليمه مقدسة ووصاياه محتومة وقراراته لا تقبل النقض».

إنه نور السائح وطعام الجائع وتعزية الحزين وسلاح الضعيف.

إنه خريطة المسافر للابدية. وعصا السائح المسيحى. وبوصلة الراكب سفينة الحياة فى بحر الزمن. وسيف جندى الصليب. والبرنامج الذى يجب أن ينفذه كل مؤمن.

فيه إعلان خير البشرية. فهو كنز لا ينفد. وأوقيانوس مجد لا قرار له. وجنة طيبة جمعت كل شىء مشتهى. ونهر سرور مبارك لم تدنسه جراثيم قط. فيه نرى النعيم قد رد إلينا. والسماء قد انفتحت لنا. فهو موضوع تعزيتنا فى الحياة وعند الموت. وستعلق ذكراه بأفكارنا طول الأبدية. فيه اسمى المسئوليات وأوفى الجزاء وأشد العقاب. اصغ فيه لصوت القدير ولتكن حياتك له أصح تفسير.

«اقرأه لتكون حكيماً. وآمن به لتكون آمناً. ومارسه لتكون قديساً».

فهو الحق الأبدى المقرر فى السموات. والرسالة التى يحتاجها العالم. أنه طعام أولاد الله والرجاء المجيد للعروس المفدية. قصده خير البشرية وهدفه الأخير مجد الله.

(٦)

إعجـــاز الكتـــاب

«الكتاب المقدس هو المعجزة القائمة فى العالم بلا مثيل، فهل من عجب أن يرمقه البشر بعين الاعتبار؟»

إن إعجاز الكتاب المقدس حقيقة لا يمكن أن تناقض فلا كتاب آخر يمكنه أن يقترب من هذا الكتاب ويقارن به من أى وجه. ونظراً لتفوقه الاعجازى وسمو مواضيعه فقد امتاز بكثرة عدد مطالعيه والمتحدثين بمحتوياته. ولا غرابة فى ذلك فإنه الكتاب الذى حمل بين طياته ختم صدقه فى جميع ما أعلنه مؤيداً بالبراهين المنطقية الكائنة فى الانسجام بين أسفاره، والتاريخية الظاهرة فى شموله تاريخ الحوادث العظمى فى حياة البشرية بصورة صادقة أثبتتها باستمرار البراهين الأثرية.

فهو معجزة فى الرموز : التى وردت فيه : وهى نبوات عملية أو أمثلة تاريخية تشير إلى الحقائق التى أعلنها الانجيل.

لقد سر الله بأن يختار أمة صغيرة ويجعلها كتاب دروس لكل العالم تحتوى على تاريخ فائق يقدم سلفاً الانجيل. فالكفارة والفداء قد جاءا فى الفصح والحية النحاسية. وتختم هذه الرموز بسليمان فهى لا توجد فى الجزء الثانى من العهد القديم أى ما بعد سليمان.

كما أنه معجزة فى التشريع : فلا توجد فى العالم قوانين أدبية تستطيع أن تقف لحظة واحدة بجانب الوصايا العشر. وكذلك لن يوجد ما يشبه موعظة المسيح على الجبل. وخاصة من ناحية ما لها من معان روحية خالدة. وأيضاً لا يوجد ما يماثل أمثال المسيح الجذابة التى لا تدانيها كل الكتابات الأدبية. ولم ير العالم قط نظير الانجيل برسائله الحية. فهو أيضاً معجزة فى هذا الكتاب.

وتاج معجزات هذا الكتاب النبوة : فهى إنباء بما يكون فى الزمن وكشف لما وراء نهاية الحياة. وما تم من نبواته لدليل واضح على صدق ما لا نزال فى انتظار إتمامه. وهذا دليل إعجازى يؤكد لنا أن النبوات التى فى هذا الكتاب مع المعجزات التى أيدت صدق وحيه هما العمودان الفريدان الحاملان لبناء هذا الكتاب الملهم.

والنبوات وهى معجزة التنبؤ بحوادث المستقبل لا يمكن أن تعرف بقوة العقل البشرى، هى إعلان سابق من الله العليم بالحوادث، وهى لذلك أصدق برهان بأن هذا الكتاب هو كتاب الله.

وهذه النبوات تتدرج فيه بصورة عجيبة حتى أن أعظم السياسيين الذين لهم الخبرة الواسعة فى مشاكل العالم لا يستطيعون أن يتنبأوا بما هو مخبوء فى الغد البعيد أو القريب. فإن الذى يحدث دائماً هو غير المنتظر، ولكن كل ما يحدث إنما يسير طبق خطة وبرنامج موضوع فى الكتاب.

قال عن ذلك العلامة بتكس:
"بأن النبوات من أعظم العلامات على سلطان الكتاب المقدس، فكم من حوادث تنبأ عنها هذا الكتاب من قبل وقوعها بأجيال عديدة وقد تمت فى وقتها المعين فوق حدود الادراك البشرى".

ولذلك لم يكتب كتاب تجاسر على إعلان المستقبل بخلاف هذا الكتاب، فمعظم ما كتب فيه تم بالحرف الواحد حتى أن هذا وحده كان يجب أن يسد أفواه المستهزئين ويكمم ألسنة الملحدين.

ومنذ أن طلب المنتقدون البرهان أو الشاهد التاريخى على صحة ما سجله الكتاب وخاصة فى العهد القديم، ظهرت الاكتشافات الأثرية إتماماً لقول الرب «إن الحجارة تنطق». وكأن الله قد استدعى الأيام القديمة لتشهد «بأن كلمته حق من أولها». فلقد أثبتت الآثار صدق تاريخ الكتاب المنسوج داخل مخلفات الشعوب القديمة كبابل ومصر. فالاصحاحات الأولى من سفر التكوين مرتبطة أساساً بتاريخ بابل، وإبراهيم نفسه كان بابلياً، كما تغرب بنو إسرائيل فى مصر ولاقوا الحياة المصرية.

ولقد أثبتت الآثار وجود أور الكلدانيين التى خرج منها إبراهيم، وكذلك مدينة بابل، ومكتبة جوديا ملك أور زمن إبراهيم، وأعماله مسجلة فى متحف اللوفر. كما كشفت الآثار عن وجود صخرة كردستان تحمل كتابة لداريوس ملك الفرس خليفة كورش، وكان التاريخ ينكر وجوده، كما وجد على مسلة أشورية معارك ياهو. وكذلك سجلت الآثار صلاة لنبوديان مرفوعة لأجل ابنه بلشاصر ــ الذى لم يذكر التاريخ اسمه ــ لأن أباه نبوديان وكان هو الملك الرسمى ظهر أنه كان مشغولا فى الميدان وكان ابنه نائباً عنه فى الحكم داخل أسوار المدينة. وكذلك كشفت الآثار عن كثير من الحقائق بينها الأسرى اليهود فى معابد الأقصر الذين سباهم شيشق ملك مصر.

هذا وقد وجد كتاب بابلى فيه

وصف للخليقة وقصة للطوفان كان موجوداً فى مكتبة أحد ملوك آشور وهو الآن بالمتحف البريطانى. كما كشفت الآثار عن ظهور خرائب للمدن القديمة والملوك القدماء الذين ورد ذكرهم فى الكتاب المقدس، ومن بينها مدينة فيثوم التى بناها رمسيس الثانى وتعرف الآن باسم «تل المسخوطة» وهى على مقربة من الاسماعيلية.

كما اكتشف الحجر الموآبى الذى نصبه ميشع (٢مل٣) وهو مكتوب بالعبرانية القديمة جداً وهو يؤيد قصة الكتاب المقدس تماماً.

وكذلك اكتشف العالم بوتا نينوى القديمة بأن ربط بين يونس (وهو الاسم المحرف ليونان بالصيغة الآشورية وقد اقتبسه القرآن فيما بعد وقد أطلق على شاطىء فى آشور) وبين يونان، فدفع بفأسه تحت انقاض ذلك الشاطىء وإذا به يستخرج نينوى المدفونة تحت رماله واستمر البحث من بعده على يد علماء آخرين حتى تم العثور على بقايا خرائبها، وكانت نتيجة أبحاثهم فيما يختص بالمساحة والوصف ونوع الرخام والقبور والحفريات المكتوبة رائعة لدرجة أدهشت العالم كله وأخزت المقاومين للكتاب المقدس !!

ودل حجر رشيد كما دلت قرية سفر أى مدينة الكتب (يش ١٥:١٥) على ما كان عليه القدماء من علم وتهذيب مما يؤيد ما شهد به الكتاب المقدس عن حضارة الشعوب القديمة منذ تأسيسها، مما ينفى القول بان الكتابة لم تكن معروفة فى زمان موسى، ويؤكد أنها كانت مستعملة من قبله بمئات السنين بدليل اكتشاف شريعة مكتوبة لحمورابى، وهو امرافل الوارد ذكره فى فاتحة (تكوين ص١٢) وهى محفوظة بالمتحف البريطانى.

* * *

وهكذا تثبتت الحقائق التى احتواها كتاب الله وتأيدت، حتى لم يعد موضع للقول بانها مجرد أساطير!. واذاً فاننا نجد النبوة فى هذا الكتاب معجزة لا يمكن تحديها إذ هى تحتوى الملخص العجيب لتاريخ العالم، فمن كان يمكنه أن يرى اتجاه الحوادث مسبقاً ويتنبأ به !؟ وكيف سيجرى مجرى التاريخ فى حياة اليهود والأمم وكنيسة الله !؟ فكل من هؤلاء قد أخذ المسار الذى تنبأ به المسيح عنه خلال ألفين من الاعوام حسبما قاله عنها من جهة واقعها والآمها ومصيرها: فقد تشتت اليهود وها هم الأمم يتحاربون

أما الكنيسة فهى تجتاز فى العالم تحت الاضطهاد والبغضة من الجميع ومع ذلك فهى مستمرة فى هذا كله ومتمسكة بامانة الحق الذى اؤتمنت عليه إلى ان يجىء ربها وعريسها المبارك !!

(٧)

انتشـــار الكتـــاب

«تعتبر قصة انتشار الكتاب معجزة تهزأ بكل من يحاول الوقوف فى وجه هذا الكتاب»

الكتاب المقدس هو أعظم كتاب من جهة توزيعه ففى هذا نجده يفوق كل كتاب آخر. فالمعروف أن كل كتاب يفوقه آخر فى التوزيع متى كان مستجداً عليه. أما هذا الكتاب فلم يحدث معه هذا الأمر قط. بل حتى الكتاب الذى يليه فى التوزيع هو كتاب دينى وهو «سياحة المسيحى».

ان الالوف لتضحى بأية خسارة ولا تقبل التفريط فى هذا الكتاب الذى استشهد لأجله ألوف مؤلفة. وله فى قلوب تابعيه إلى يومنا هذا نفس المحبة والأمانة وذات الاستعداد للتضحية. وأى الهام يجده البشر فى غيره من الكتب مهما كان نوعها فانما قد نبع منه أولا.

لقد ثبت هذا الكتاب فى وجه كل انتقاد واضطهاد وتم فيه المثل القائل:

"تتكسر المطارق ويبقى السنديان" فهو سنديان الدهور الذى كسر المطارق وبقى كما هو!!

لقد أحرق دقلديانوس جميع النسخ التى استطاع الحصول عليها سنة ٣٠٣م وقال بادت المسيحية وانتهى اسم المسيح ونصب عموداً تذكارياً بذلك. ولكن سرعان ما خرج الكتاب! وفى سنة ٣٢٥م وضع قسطنطين عرشاً وأجلس نسخة كبيرة من كتاب الله عليه فى أول مجمع مسكونى وأسماه قاضى الحق المعصوم الذى لا يمكن أن يسقط !!

ولقد حارب فولتير الكافر هذا الكتاب وقال عنه أنه سيزول من الوجود بعد مائة عام ولن يبقى منه إلا ما يكون فى المتاحف. ولكن الطريف أنه بعد وفاته اشترت داره جمعية التوراة وحولتها إلى دار لنشر الكتاب!!

وهكذا ثبت الكتاب وزادت نسخه إلى مئات الملايين وذهبت كل المحاولات التى بذلها مضطهدوه أدراج الرياح.

وهكذا ثبت الكتاب وهو كذلك الآن أكثر من أى وقت مضى وسيظل ثابتاً إلى الأبد وقد طبع منه منذ

اختراع الطباعة أكثر من خمسة بلايين نسخة. كما يوزع منه سنوياً ما يعادل ١٥٠ مليون نسخة !!

أما قصة انتشاره ففيها كل العجب : ذلك أن اللغة اليونانية سادت العالم بسبب فتوحات الاسكندر. ولذلك أمر بطليموس بترجمة العهد القديم إليها إذ أراد ضم الأسفار المقدسة إلى مكتبة الاسكندرية. فاستدعى سبعين كاهناً قاموا بالترجمة المعروفة بالسبعينية والتى سبقت الاشارة إليها .. ويؤيد التاريخ ذلك إذ يشهد باستمرار سيطرة اللغة اليونانية خلال القرنين السابقين لميلاد المسيح، وحتى بعد أن أصبحت بلاد اليونان نفسها مقاطعة رومانية تخضع للحكم الرومانى. فان اللغة بقيت فى مكانها. بل حتى إيطاليا نفسها كانت تعرف اللغة اليونانية كغيرها. وهكذا امتلكت روما امبراطورية عظيمة ولكن بقيت لليونان اللغة العالمية التى صارت واسطة عمومية للاتصال بين الشعوب. وبذلك قد أعد الطريق لكتبة العهد الجديد لأن يكتبوه باللغة اليونانية. ولوحظ أنهم كتبوه باللغة العامية التى يتحادث بها الناس لا الفصحى حتى يتسنى لكل فلاح أو عامل أن يقرأها ويفهمها لأنها مكتوبة فى لغة الشعب. وذات كلماته تصرخ فى وجه كل من يريد أن يخرج الكتاب فى أية صورة لا يفهمها الشعب !

* * *

هذا كله سهل انتشار الكتاب. وكانت هذه الطريقة الواضحة صادرة من ذاك الذى يعمل كل شىء حسب رأى مشيئته : فقد عين الله أنه عند انتهاء فترة التاريخ المعروفة بقبل الميلاد تكون اللغة اليونانية سائدة على شعوب الامبراطورية الرومانية كلها. حتى أمكن فى القرون الأولى للمسيحية قراءة رسائل الإنجيل ثم رسائل العهد الجديد كله فى كل الجهات التى أرسلت إليها حينئذ.

ومن الأمور العجيبة أن الله ألهم الملوك ليكونوا مسئولين عن طبعه. ولقد ظهرت الطبعة الأولى منه بثمن يساوى خمسة جنيهات وانخفض الثمن. وكانت النسخة العادية منه تتكلف ١٧٥ قرشاً وقد ارتفعت حالياً بالطبع. وجمعية التوراة هى أكبر موزع للكتاب. وميزانيتها السنوية لا تقل عن نصف مليون جنيه يجمع معظمها من هبات صغيرة ممن شعروا بالمحبة للجنس البشرى ــ وبعد أن كانت توزع منه بضعة آلاف وترجمت أجزاء منه فقط إلى ٧٠ لغة صار توزيعه بمعدل ١٥ مليون نسخة سنوياً فى كل اللغات التى زادت عن الألف. وتمت ترنيمة تشارلس وسلى «ياليت لى ألف لسان لأحمد الفادى الرحمن». ولم يزل الكتاب فى رحلته المباركة حول العالم تزداد الكميات المطبوعة منه وتوزع على أوسع نطاق!! فقد ورد بتقرير يناير ٩١ ان توزيعه كله أو اجزاء منه بلغ عام ٨٩ نحو ٢٩٩,٩٥٣,٢٢٩ نسخة بألفى لغة !!

الجزء الثانى

تفنيـد الادعـــاء

بتحريـف الكتاب المقدس

عصمة الكتاب

«أين ومتى وكيف حدث التحريف المزعوم للكتاب المقدس»

من الأهمية بمكان أن نبين فى هذا الفصل عصمة الكتاب المقدس وسلامته من التحريف، فقد واجه هذا الكتاب هجمات كثيرة من الشرق والغرب بدعوى تحريفه ولكن لم يقم دليل واحد لاثبات هذه الدعوى الباطلة ! ولم يستطع أحد أن يحضر لنا النسخة (الصحيحة) المزعومة الخالية من التحريف، ولا أن يدلنا عن زمان ومكان هذا التغيير المزعوم، ولا من الذين قاموا به؟ وكذلك الحال بالنسبة لدعوى التحريف نفسها، وهل تمت بالاضافة أم بالحذف أم بالابدال فى الألفاظ أم بالتأويل فى المعانى؟ وسواء كان التحريف لفظياً أو تقديرياً فهل صار بمعرفة وقصد من الفاعل أم وقع سهواً وبدون معرفة؟ وفى أى قسم من أقسام الكتاب المقدس صار؟ هل فى التوراة أو الإنجيل؟ ومعروف أن التوراة (العهد القديم) هى التى كانت عند اليهود ولا زالت موجودة عندهم إلى يومنا هذا، كما أنها موجودة أيضاً عند المسيحيين، وأما الإنجيل (العهد الجديد) فهو الموجود بين أيدينا نحن المسيحيين الذى أوله إنجيل متى وآخره سفر الرؤيا. فأين حدث التحريف ياترى؟

١ - منطق التاريخ

ونحن نسأل المدعين بتحريف التوراة. من غير التوراة؟ ومتى؟

فلا يعقل أن يغيرها اليهود قبل المسيح لأن المسيح صادق على التوراة التى كانت معهم، بل أن كتبة العهد الجديد اقتبسوا منها فى مئات المواضع ما طبقوه على النظام المسيحى ولا يعقل أن يصير التحريف من اليهود بعد زمن المسيح ورسله لأن التوراة منذ ذلك الوقت فصاعدا كانت موجودة بين أيدى المسيحيين، كما أنها كانت موجودة بين أيدى اليهود. فلا يعقل أن اليهود يتجاسرون على تحريف التوراة وهم يعلمون بوجودها عند النصارى، وكذلك لا يعقل أن يقوم النصارى بتحريفها وهم يعلمون بوجودها عند اليهود. فكل من الفريقين ما كان ليسكت على هذا التحريف للفريق الآخر فيما لو كان ذلك التحريف المزعوم حقيقة واقعة.!!

ومع ذلك فان التوراة لا زالت

باقية عند الفريقين إلى الآن بذات اللغة العبرية التى كتبت بها وصارت مقابلتهما مع بعضهما بواسطة علماء كثيرين فوجدتا فى غاية الاتفاق. ولا يعقل أن يتفق اليهود والنصارى على تحريف التوراة لأنهما امتان متضادتان.

أما إذا كان التحريف قد صار من النصارى فى الإنجيل فمتى حدث هذا؟ هل قبل القرآن أم بعده؟ لأن القرآن نفسه يشهد بأنه نزل مهيمناً ومصدقاً على التوراة والإنجيل. وهذا يستلزم احتفاظهما بما فيهما من حقائق الهية ..! بل لقد أمر القرآن الذين آمنوا ألا يفرقوا بين قرآنهم وبين الذى أنزل من قبل !

ولا يعقل أن يكون بالكتاب تحريف بعد الاسلام لشهرة الكتاب الفائقة الحد وانتشاره فى كل العالم بكل اللغات. ولتعدد الطوائف المسيحية. واحتمال المسيحيين كل صنوف العذاب فى سبيل تمسكهم بدينهم. فكيف يرتضون بتحريف إنجيلهم؟ وما هو الباعث لهم على ذلك؟ وهل يكون هذا الباعث أفضل من سعادتهم الأبدية التى سوف يخسرونها بتحريفهم الإنجيل. وأقوى من التهديدات واللعنات المزمعة أن تحل على كل من يزيد أو ينقص فى الإنجيل بحسب ما جاء فى ختام العهد الجديد !؟ فهل يمكن بعد كل هذا أن يسلم العقل السليم باجتماع النصارى الموجودين فى بقاع العالم المختلفة. بما لهم من لغات متعددة. بل ويجهلون لغات بعضهم البعض. كما أنهم كانوا فى ذلك الوقت منقسمين إلى طوائف متعددة ولا زالوا على هذا الخلاف إلى يومنا هذا ـ وكل مذهب منهم ضد الآخر. ومع كل ذلك فان كل مذهب يثبت آراءه من الكتاب المقدس ذاته ـ فهل ينتظر أن هذه الطوائف والمذاهب المختلفة تتفق معاً على التحريف؟ أم أن كل فرقة منها حرفت الإنجيل على حدة لإزالة الآيات المضادة لعقيدتها الخصوصية. ومن ثم كان يصير اختلاف نسخ الإنجيل الموجودة عند تلك الطوائف. ولكن إذا قابلنا النسخ العديدة الموجودة عند سائر الطوائف المسيحية لا نجد بينها اختلافاً : فلو كانت كل فرقة حرفت الإنجيل لوحدها بدون أن تتحد مع باقى الفرق فى إحداث التحريف لما كان يوجد اتفاق بين النسخ وبعضها. إذ لا يمكن أن التحريف يكون واحداً فى النسخ بدون اتفاق تلك الطوائف والمذاهب على التحريف.

فهل يستطيع القائلون بالتحريف أن يدلونا على مؤرخ ذكر شيئاً فى التاريخ ولو عابراً عن مؤتمر أو مجمع ضم أجناس البشر من جميع القارات. من يهود ومسيحيين على اختلاف لغاتهم ولهجاتهم. ورغم عداواتهم. لتحريف الكتاب المقدس ـ التوراة والإنجيل ـ؟ وفى أى مكان من العالم حدث ذلك؟ ومن هو الدكتاتور العالمى الذى ساد العالم وأكره اليهود والنصارى فى كل العالم أن يحملوا توراتهم وانجيلهم إلى مكان الاجتماع لتحريفهما؟ وكيف لم تفلت

نسخة واحدة من نسخ التوراة والإنجيل لتبقى شاهدة على الذين أجروا التحريف المزعوم !؟

٢ – شهادة المصادر الأصلية

صمد الكتاب المقدس أمام جميع الهجمات وجابه دعوى التحريف الخرافية. وقد شهدت له النسخ الأصلية المترجم عنها بعدم إمكانية التحريف. وهذه النسخ قديمة، قبل القرآن وبعده، وكثير منها موجود فى متاحف وخزائن عواصم العالم. **ومنها النسخة المعروفة بالفاتيكانية لوجودها الآن بالفاتيكان**، وقد نسخت قبل الهجرة بمائتين وخمسين سنة. ومنها **النسخة السينائية** وهى التى عثر عليها العالم الالمانى تشندروف بدير سانت كاترين عند سفح جبل سيناء. وكانت موجودة فى مدينة بطرسبرح بروسيا. وهى موجودة حالياً فى المتحف البريطانى. **ومنها النسخة المعروفة بالأسكندرية**، وهى محفوظة الآن بمتحف لندن الشهير. وقد نسخت هى أيضاً قبل الهجرة بمائتى سنة وكان قد أهداها بطريرك الأسكندرية إلى شارل الأول ملك بريطانيا عام ١٦٢٨. ومنها **النسخة المعروفة بالأفرامية**، وهى الآن بمتحف اللوفر فى باريس. وقد كتبت فى الجيل الخامس للمسيح. وهناك **النسخة القبطية** التى اكتشفتها بعثة بوريال. **ونسخة وادى قمران** على الشاطىء الغربى للبحر الميت وهى التى اكتشفت حديثاً.

* * *

وقد قوبل بين هذه النسخ المكتوبة قبل القرآن وبين الكتاب الموجود حالياً فوجدت مطابقة لها تماماً. وهذا دليل واضح على عدم تحريف الكتب المقدسة، لأنه لو كان حدث تحريف فى التوراة والإنجيل لما كان يوجد اتفاق بينها وبين تلك النسخ.

فضلا عن قيام الكتبة قديماً بعد الأحرف فى كل سفر. بل وفى كل صفحة. مما يجعل التحريف اللفظى مستحيلا. وقد أكد يوسيفوس بأن اليهود كانوا حماة غيورين على حرفية العهد القديم.

وكذلك قيام الآباء فى عصور المسيحية الأولى وبعضهم عاصر الرسل بوضع مؤلفات أوردوا فيها جملة آيات من العهد القديم والعهد الجديد. وهى محفوظة عند الطوائف المسيحية إلى الآن. وبمقابلة هذه الاقتباسات مع ما فى نسخ التوراة والإنجيل التى يتداولها الآن النصارى واليهود نرى أنه لا يوجد فرق ولا اختلاف بينها. مما يدل على أن الكتاب المقدس الذى كان بين أيديهم هو الموجود عندنا اليوم. وهذا دليل قاطع على عدم وقوع تحريف فى كتاب الله – بل لقد قام أولئك الآباء بحفظ وتلاوة نصوص العهد الجديد غيباً. حتى قيل أنه لو ضاع الإنجيل لأمكن جمعه كله من الآيات التى اقتبسها أولئك الآباء فى

مؤلفاتهم. وهذا يؤكد لنا إمكانية الرجوع إلى عديد من النسخ الأصلية وأقوال الآباء فيما يختص بالانجيل إلى أن تقررت قانونية الأسفار المقدسة فى مجمع نيقية، الذى وضع فيه اثناسيوس قائمة باسماء تلك الكتب، وهى تطابق تماماً الكتب المتداولة بين أيدى المسيحيين اليوم.

وأخيراً نرى أن وجود موافقة بين العقائد المسيحية التى تضمنتها مؤلفات أولئك الآباء المعلمين وغيرهم مع العقائد المسيحية المتمسك بها المسيحيون الآن هو دليل على عدم تحريف الكتب المقدسة فإن إيمان واعتقاد الكنيسة الأولى من بعد صعود المسيح هو ذات اعتقادنا الآن. وهذا يؤكد بالتالى أن تكون الكتب المقدسة التى كانت موجودة فى أيام هؤلاء المؤلفين موافقة بالتمام لذات الكتب الموجودة بين أيدينا الآن. لأنه لو صار تغيير فى الكتب المقدسة بعد انتقال اولئك المعلمين لكان قد صار تغيير فى تلك العقائد أيضاً. ولكننا بمقابلة تلك النسخ مع الكتاب الذى يتداوله الآن اليهود والنصارى نرى أنه لا يوجد أى فرق أو أختلاف بينهما. مما يدل على أن الكتاب المقدس الذى كان موجوداً حينئذ هو الذى عندنا اليوم .. !!

وجدير بالذكر أن هذه المخطوطات القديمة التى يرجع بعضها بالنسبة للإنجيل إلى القرن الثانى الميلادى ويزيد عددها عن ١٥٠٠ نسخة قد أخذت لها صور فوتوغرافية. وهناك عدد كبير أيضاً للعهد القديم .. وهذه المخطوطات هى مثار دراسات فنية وتاريخية ولاهوتية، مما اهتمت به هيئات الآثار ومعاهد اللاهوت، واشرنا إلى بعضه فى كتاب سابق لنا هو: «مصادر الكتاب المقدس» !!

* * *

ونعلم بعد كل هذا ان هناك صعوبات قائمة من جهة المخطوطات الأصلية وبعض الترجمات اذ يريد الناقدون هنا التطابق التام من كل وجه، غاضين الطرف عما قد يقع فى النسخ من اخطاء طفيفة، ومتجاهلين حقيقة ان الكتاب المقدس فى معانيه أعمق بكثير من ظاهر الالفاظ ــ بل ان اللفظ الواحد فى لغاته الأصلية قد يحمل أكثر من معنى مما لا يمكن حصره بالتحديد فى الترجمات فهو لا يمكن باعتباره كلمة الله أن ينحصر فى حرفيته ــ لأن كلمة الله لا ولن تقيد والوحى المرتبط بها ليس آلياً ميكانيكياً. وليس من المحتم الادعاء عليه بالازلية لكونه مرتبط بالزمان الوجودى فحسب ولذلك فان محاولات الناقدين اصطياد الاخطاء التى يستخدم بعضهم اسلوب التبديل فى عددها ونوعها انما هو أمر غير ذات موضوع وعديم الجدوى هنا بالمقابلة مع معانى هذا الكتاب الجوهرية الثابتة غير المتغيرة والتى تمس مباشرة المصير الأبدى للبشر!!

الفصل الثانى

قضية الادعاء بالتحريف

«ها قد رفضوا كلمة الرب فأية حكمة لهم» (أر ٨:٩)
«وقال لى أكتب فإن هذه الأقوال صادقة وأمينة» (رؤ ٢١:٥)

يتقدم صاحب نبذة. «المتناقضات العلمية فى أسفار العهد القديم والجديد» ببحث منقول عن المدارس العصرية يحاول به نقد الكتاب المقدس من وجهة أخرى هى وجهة الأرقام والحقائق العلمية التى يزعم بأنها تناقض أسفاره الحالية. وينقل عن كتاب: «الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة» ــ إذ يعتبره من المراجع التى يستند إليها فى مؤلفه ــ رغم أن كاتبه موريس بوكاى من المتخصصين فى النقد العصرى الحديث للكتاب المقدس، وهو ينقل عنه بأن أسفار الكتاب قد وقعت فى خلط كبير وخطأ تاريخى وعلمى فاحش، يقطع ــ على حد قوله ــ بأنها كتبت بأيدى تؤلف من عند نفسها ولا تحسن حتى التأليف، بزعم أن هذا الخطأ فى التواريخ وترتيب الوقائع المخالفة للكشف العلمى إنما ينسب إلى الوحى ! وقد قمنا بالرد على ذلك فى كتاب صدق كلمة الله وتأكيد وحيها» !!

* * *

وهذه بلا شك عينة من المحاولات الجبارة التى يبذلها العقلانيون والعصريون أصحاب «النقد الأعلى» و«اللاهوت المنطقى» الذين أقاموا أنفسهم منذ أوائل القرن العشرين كقضاة للحكم على الكتاب، مفندين بذلك مفاهيم الحق القديمة التى اقامها كتاب الله هذا كعلامات على الطريق لهداية السائرين فيه ــ لأنه إذا لم يكن الكتاب شاهداً مؤتمناً لذاته فمن أين يكون لنا اليقين بصحة إيماننا المسيحى؟! وكيف يكون لنا التأكيد من إعلان الله ذاته عن طريق هذا الكتاب الذى ينفرد بأن ما يحتويه ليس فقط هو كلمة الله بل إنه لا يوجد فى أية كتابات أخرى على الإطلاق!! فهو الكتاب الوحيد الذى لا يمكن أن نجد له أى بديل أو مماثل!! ولعل هذا هو السبب فيما درج عليه الأنبياء بقولهم: «هكذا قال الرب» وهم يقصدون بذلك أن الكلمات التى ينطقون بها هى ذات الكلمات التى وضعها الله فى أفواههم، بل يعتبرون أن فم الرب قد تكلم بها وأنها صادرة من نفخة فمه، وهذا يجعلها بطبيعة الحال خالية تماماً من كل خطأ، أى صادقة ومعصومة بجملتها !!

* * *

ولكن هذا الكاتب الحديث الذى يجمع بين اعتراضات الشرق وسخافات الغرب لم يعد يتبين معالم الطريق، وهو فى ذلك كالكثيرين الذين قد غشى بصرهم

ذلك الضباب الجديد الآتى من الاهوت العصرى الحديث، والذى دفعه إلى اقتباس ينسبه للمجمع المسكونى الفاتيكان الثانى (١٩٦٢ ـ ١٩٦٥) بأن أسفار العهد القديم، وإن كانت قدمت معرفة من هو الله ومن هو الإنسان بما لا يقل عن معرفة الطريقة التى يتصرف بها الله فى عدله ورحمته مع الإنسان، غير أن هذه الكتب تحتوى على شوائب وشىء من البطلان، مع ذلك ففيها شهادة عن تعليم الهى !!

ويحاول هذا الكاتب بهذا الاقتباس فرض شهادة منسوبة لمجمع فاتيكان الثانى على المسيحية بأسرها، مع أنه بغض النظر عن صحتها من عدمه فإن الفاتيكان ليسوا أوصياء على المسيحية، وبالأولى على الكتب المقدسة، حتى يكون كلامهم حجة فى هذا المقام.

فإذا أضفنا إلى ذلك ما جاء بالوثيقة نفسها من تنازل الفاتيكان عن مبادىء المسيحية فى سبيل مصالحة جميع الأديان الأخرى إثباتاً للأخوة العالمية وأبوة الله للجميع، زاد تأكيد عدم اطمئناننا إلى تصريحاتهم، فقد قررت تلك الوثيقة النظر إلى الدين الإسلامى بتقدير لأن فيه عبادة الله الواحد الأحد ... وأن المسلمين وإن لم يؤمنوا بالمسيح على أنه ابن الله، إلا أنهم يؤمنون به كنبى ! يجلونه ويكرمونه كما أنهم يكرمون أيضاً أمه مريم العذراء، وأن الكثيرين منهم يتوجهون إليها فى دعواتهم ويؤمنون كذلك بيوم القيامة وبالدينونة والثواب والعقاب.

ولأجل نفس السبب قام الفاتيكان بتبرئة اليهود من جريمة قتل المسيح ـ ليس إنكاراً لصلب اليهود للمسيح كما زعم المؤلف ـ وإنما بحسب ما جاء فى الوثيقة نفسها: «إن ذلك الصلب الذى تم منذ عشرين قرناً من الزمن، لا يسع الكنيسة أن تنسبه لجميع اليهود الذين كانوا يعيشون فى ذلك الزمان، ولا لجميع اليهود الذين عاشوا ويعيشون بعد ذلك فى كل زمان».

* * *

أصدر الفاتيكان هذه التصريحات فى وثيقة مجمعه الثانى لرفض كل تمييز عنصرى أو اجتماعى أو دينى إقراراً منه بضرورة التعامل مع جميع الناس دون استثناء كأخوة مخلوقين على صورة الله: ومن هنا يجب أن تسقط كل نظرية، وكل معاملة من شأنها أن تخلق بين إنسان وإنسان، أو بين شعب وشعب، تمييزاً يترتب عليه تفاوت فى الكرامة الإنسانية وفى الحقوق الناتجة عنها (وثيقة المجمع الصفحات ٨٩ ـ ٩٢).

وهذا ما جاء به من قبل الميثاق العالمى لحقوق الإنسان الصادر من الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ١٠ ديسمبر ١٩٤٨ بمنع التفرقة فى المعاملة بين الناس أجمعين بسبب الجنس أو اللون أو المركز أو الدين، وقد تأيد منها أكثر من مرة، وشتان بين هذا التعميم فى التعامل المسكونى بين البشر

للتعايش السلمى وبين زعم مؤلف نبذة التصدى لأسفار الكتاب المقدس من أنه آثر توجيه رسالته إلى رجال الفاتيكان لأنهم متجردون من التعصب الأعمى ويسعون إلى البحث والمعرفة. وقد دفعهم ذلك إلى إعلان تبرئة اليهود من دم المسيح. ولم يبق إلا أن يعلنوا براءة المسيح من الصلب .. والإيمان بالمسيح رسولا جاء يدعو إلى عبادة الإله الواحد .. والإيمان بالرسول الذى بشر به المسيح والكتاب الذى يجىء به والدين الذى سيدعو إليه (ص٣١ من نبذته) وهو يرى أن التربة فى الغرب صالحة لدعوة المسيحيين به إلى التخلى عن دينهم إذا ما وجد المترجم الذى يقوم بترجمة نبذته هذه إليهم والتى أطلق عليها عنوان: «نداء إلى الفاتيكان» وهذا ما قام فى مخيلته ظناً منه أنه هكذا يكون ترك الأديان وهجرها تحت تأثير حملات التشكيك السطحية وأوهامه المغرضة. مهما تكن الوسائل التى يستعين بها أمثال هذا المؤلف سواء كانت من نوع التحامل المتعصب القديم أو من تحريضات الفلسفة العصرية المعادية للمسيحية !!

* * *

ومن الغريب أنه بعد ما أشرنا إليه يقوم بالتسليم فى مقدمة نبذته بأن الله تعالى هو الذى أنزل التوراة والإنجيل والزبور والقرآن، وأن هذه الكتب جميعها لا تختلف فيما تدعو إليه من عقيدة هى عبادة الله وحده الموصوف فى كل هذه الكتب بصفات الكمال والجلال، كما أنها تدعو إلى العدل والفضائل والأخلاق، وأن هذه الكتب جميعها هى كلام الله بالوحى الذى لا يقبل المناقشة ..

ورغم ذلك يعود ليقول: «بأن هناك التوراة كتاب الله أنزله على موسى ولكنها غير التوراة الحالية المتداولة بين الناس. وكذلك هناك الإنجيل كلام الله أنزله على المسيح .. ولكنه ليس هو ما كتبه التلاميذ الأربعة».

وفيما هو يزعم بأن القرآن قد أثبت التحريف فى التوراة والإنجيل. نجده يتساءل كيف أنه يأمر فى نفس الوقت بالإيمان بهما !؟

ويقدم جواباً غريباً متناقضاً مع أقواله المتقدمة بقوله: «إن هذا الأمر بالإيمان بهما يقف عند حد نزول التوراة على موسى. والإنجيل على المسيح. دون بحث عن التفاصيل لأن هذه قد أتى بها القرآن بعد أن دخل التحريف عليهما» ويسترسل إلى ما يسميه بخطأ آخر هو الظن بأن الله تعالى أنزل أديانا مختلفة فى عقائدها وتسميتها. مع أنه لم ينزل سوى دين واحد يتفق فى عقيدته وهى عبادة الله وحده الذى لا شريك له. وإن نسبة أسماء الأديان إلى مبلغيها إنما هو خطأ فاضح مستنداً إلى قول منسوب لإبراهيم وهو: «إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت

لرب العالمين» !! وواضح أن هناك إجماعاً في تفسير ذلك بأن المقصود به ليس ديناً بعينه وإنما هو التسليم لله. وخاصة أن العبرانيين ـ وهم اليهود ـ منسوبون إليه لعبوره نهر الفرات وهو بذلك المؤسس الحقيقي لليهودية. ونعلم يقيناً إن مثل هذا التسليم المنسوب إليه إنما هو أمر واجب على من يقبلون الاعلان الالهي الذي قد جاء في الكتاب المقدس متدرجاً إلى أن أصبح تاماً واجباً للقبول والإيمان!!

* * *

ولكن هذا المؤلف في نبذته هذه قد جمع في تحامله على الكتاب المقدس بين الزعم القديم المشهور بالتحريف الذي يتردد لدى بعضهم في الشرق مضافاً إليه ترهات النقد الحديث الذي تجاهر به مدارس النقد العصرية في الغرب. ظناً منه أنه بذلك ينال من هذا الكتاب باعتباره منذ بدأت الديانة على الأرض الأعلان الإلهي المعطى من الله تعالى للبشر تدريجياً على مدار الزمن. وفقاً لإكتمال نمو البشرية على مراحل التاريخ ـ ولكن هيهات له بل ولجميع حكماء الأرض الذين يتصورون ان بمقدورهم عن طريق الجدل الصاخب والنزاع العصري مناوأة المسيحية الحقة الخارقه للطبيعة إمعانا منهم في عدم الاكتراث برسالتها والركض بذلك الى اخدود الحيرة واليأس.

أما عن الأدعاء بأن الدين لابد ان يكون واحداً مما يستتبعه خطأ الظن بإنزال الله للاديان المختلفة العقائد والتسميات :

فمما لاشك فيه ان الإيمان بوحدانية الله هو أساس ومحور الاعلان عن الدين الصحيح وهو أعظم تقدم أحرزه الدين بوجه عام. لأنه يقود إلى وحدة العالم وبالتبعية إلى وحدة الجنس البشري في شبه عائلة واحدة وهذا ماتفقت فيه الأديان إبتداء «بإبراهيم» الذي اعتبر بحق أب المؤمنين في كل من الأديان الثلاثة (اليهودية والمسيحية والأسلام) **ومن هنا كان اتفاق هذه الأديان في الوحدانية : والواقع أن عقيدة التوحيد ليست بالشيء الجديد قط ولا كانت بأي حال من الأحوال وقفاً على ديانة بالذات دون غيرها من الديانات.** فقد أثبتتها عقائد الأديان القديمة ـ رغم وثنيتها ـ فالله عند قدماء البراهمة إله واحد متصرف لا شريك له. وقد كتب طاغور كتاباً أوجز فيه أصول عقيدته في ثلاثة بنود تدور كلها حول إله واحد خالق للكون. كما أن العقيدة السرية التي كانت تلقن في المعابد الفرعونية منذ أقدم العصور كانت تستند إلى التوحيد وقد دلت صلوات إخناتون في القرن الرابع عشر قبل الميلاد على إيمانه بإله واحد هو روح رابض وراء الشمس دعا إلى عبادته وبشر الناس به فارتفعت من قلب ذلك الرائد القديم صيحة التوحيد في أرض الفراعنة. قال عنه في نشيد له: «أيها الإله الأوحد الذي ليس لغيره كسلطانه. يامن خلقت الأرض كما يهوى قلبك».

كذلك أعلن سقراط أشهر فلاسفة

اليونان فى زمانه بأنه قد تلقى وحيا أو رسالة من الله ومات شهيد هذا الأعلان. ولكن خليفته أفلاطون آمن بعده بالإله الواحد.

وهكذا بلغت عقائد الديانات القديمة غاية حدها حين بحثت عن الإله الواحد والرب الأعلى الذى يعلو على سائر الآلهة والأرباب قدرا وقدرة وينفرد بالجلال عليها. ووصلت بذلك إلى حدود الإيمان بالوحدانية.

وظهر دين الوحى بعدئذ فى صورة انقلاب عظيم فجائى قام به إبراهيم بمفرده فى عصر نمرود وفى وجه عالم غارق فى الوثنية وأصبح بذلك أول رائد فى التاريخ لعقيدة التوحيد. ومن بعده قام موسى متابعا ومؤسساً دين عقيدة «وحدة الاله». وقد أكد المسيح أيضاً دين التوحيد فى زمانه. ولا غرابة أن جاء القرآن بعد كل ذلك يأمر بالتوحيد ويخاطب اليهود والنصارى بأن: «إلهنا وإلهكم واحد» (سورة العنكبوت الأية ٤٦) إذاً. فقد أتفقت الأديان فى الوحدانية وشهدت للتوحيد بإعتبار أن ذلك أهم أركان دين الله الحق المعلن فى الكتب المقدسة

وكانت عقيدة التوحيد هى الأولى فى الديانة اليهودية من الوجهة التاريخية أى بحسب الترتيب الزمنى. وقد تضمنت الوصية الأولى من الوصايا العشر أسمى توحيد ونصها: «أنا الرب إلهك لا يكن لك آلهة أخرى أمامى» (خر ٢٠:٢) وبهذه الكلمات أسبغت الديانة اليهودية على التوحيد شكلا رسمياً. فإن هذه الوصية تعلن الوحدانية وتنفى التعدد وتنهى عن صنع التماثيل المنحوتة وعبادتها. وهذا هو التوحيد المثالى. وكان الله يكرر هذا الإعلان عن طريق موسى والأنبياء ليحفظ له مهابته وقدسيته إلى أن رسخت عقيدة توحيد الذات الإلهية وبقيت إلى ما بعد عصر موسى. بل وأصبحت محور الارتكاز فى الاعتقاد بالله على توالى الزمن !!

ولقد جاءت أقوال الإنجيل تشهد للوحدانية كأقوال التوراة على قدم المساواة. فكانت تصريحات الكتاب المقدس بعهديه فى هذا الأمر واحدة. (تث ٤:٦، مر ١٢:٢٩) **والشواهد التى يمتلىء بها العهد الجديد تدل دلالة قاطعة على أن المسيحيين يؤمنون بالله بنفس المعنى المفهوم لدى سائر الموحدين فهم معهم على حد سواء.**

وليس بغريب إذن أن يؤيد القرآن هذا التوحيد البادى فى اليهودية والمسيحية بقوله فى سورة آل عمران الأية ٦٤ «قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً» أما سبب غيرته على التوحيد وبذل الأهتمام الأول فى ذلك

وجعل التوحيد كل شيء فإنه رغم وجود معرفة الله عند العرب من قبل إلا أنهم قد اتخذووا الأصنام للتوسل بها إليه. فكان التوحيد بصورته هذه لأجل رد عرب الجاهلية عن العبادات الوثنية المختلفة التى غرقوا فيها رغم استمرار بقاء اسم الله عندهم !!

إذاً، فقد اتفقت الأديان فى التوحيد وليس من فارق بينها إلا سوء الفهم الناتج من عدم البحث، وباتفاقها هذا أتمت مهمتها العظمى وهى هداية الناس إليه تعالى أى إرشاد بنى البشر إلى طريق الحق، وليس دين الحق عقلا وعلماً إلا ما قام على الوحدانية، لأنه لا ينفى عن الله الوحدانية إلا من ينسكر وجوده.

ولقد كان من الطبيعى أن يجىء إعلان الوحى المكتوب متدرجاً أى على مراحل يكمل بعضها بعضاً إلى أن تم ذلك الاعلان وأصبح كاملا، وليس معنى هذا أن الأديان تتطور أى تتبدل وتتغير بحسب تتابعها لأن دين الوحى بالضرورة واحد، وإنما كان لابد من ذلك التدرج لأن البشرية لم تنضج دفعة واحدة، فكان من المنتظر مرور وقت كاف حتى يتلقى عقل البشر نور الوحى ويهتدى به كاملا: وإذ قد تم ذلك لم تعد أجزاء ذلك الاعلان الالهى متناقضة بحسب ما يبدو بينها من إختلاف، **بل هى متكاملة بحسب هذا التدرج ولا مجال فيها لتطور مزعوم وإلا لاستوجب ذلك ظهور ديانات جديدة باستمرار تتناسب مع تطور البشرية الأمر الطبيعى الذى يستحيل معه ثبات شريعة الوحى.**

وفضلا عن ذلك فإن شريعة الله سواء فى الطبيعة أو فى الضمير أو فى الاعلان المكتوب مبنية على مطاليب طبيعة الله وهى غير قابلة للتغيير، ولذلك فإن النواميس الطبيعية التى وضعها الخالق فى العالم الطبيعى لم تتغير ولم تتبدل رغم تطور الإنسان وتقدمه، وبالمثل الناموس الأدبى الذى يحدد صلة الإنسان بخالقه، أى الوصايا العشر، فهى أيضاً غير قابلة للتغيير أو النسخ بل هى لازمة وثابتة ثبوت نواميس الطبيعة التى لا تتغير.

فالمسيحية لم تنقض ناموس موسى بل تأسست عليه، ومن ثم لا تعتبر ناسخة أو مبطلة لليهودية وإنما هى مكملة لها (متى ٥:١٧)، ولذلك كان العهد القديم نصف كتاب المسيحية المقدس والنصف الآخر هو العهد الجديد: **وإذ قد أخذت المسيحية العهدين معاً فقد دللت بذلك لا على نسخها الديانة اليهودية بل على أنها امتداد لها وتفسير وتحقيق**، ومن ثم لا يصح اعتبار ظهور المسيحية بعد اليهودية تعاقباً فى الأديان، ولا تعدداً فيها، حتى يعتبرها هذا الناقد أديانا مختلفة !!

بطلان دعوى التحريف

«كلام الرب كلام نقى كفضة مصفاة فى بوطة ممحوصة سبع مرات» (مز ١٢:٦)

إن هذا الوصف الذى أمامنا إنما هو إقرار يقينى تجاه كلمة الله فى كل العصور، باعتبارها أداة اتصاله تعالى بالبشر وهى لذلك ثمينة دائماً، نقية ومؤتمنة وليست مثل أقوال الناس ـ فليس فيها أية نفاية أو بطل أو ملق بل هى خالية تماماً من كل غش، إنها كالفضة ـ كالنقود عند الناس ـ وسيلة التبادل، بها نتعامل مع الرب، إنها ممحوصة بالتمام ـ أى خالية من كل زغل، فى بوتقة الصانع الماهر الأمين، أى تامة النقاوة والصفاء .. والتعبير ممحوصة سبع مرات، يقصد به كمال النقية !!

هذا هو أساس بطلان دعوى التحريف بالنسبة لكلمة الله، وقد استقر إيماننا عليها، فإننا نؤمن بأن الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد هو كلمة الله الموحى بها، وهو الدستور الوحيد المنزه عن الخطأ، والشامل للحق الإلهى الكامل، والقانون المعصوم الذى به تقاس جميع التصرفات والآراء والتعاليم الدينية، وهو أيضاً مركز وحدة المسيحية .. وقد ترجم إلى كل لغات العالم تقريباً، وهو يطالب الجميع بالخضوع له على أساس أن فم الرب تكلم به، وترجماته هى فى حكم الأصل لمطابقتها له، فقد أقتبس المسيح نفسه وتلاميذه مراراً من الترجمة السبعينية التى ليست إلا ترجمة للعهد القديم إلى اليونانية، وقد أقتبسوها كأقوال موحى بها مثل الأصل تماماً !!

• • •

أما أدلة بطلان دعوى التحريف التى ذهب إليها ذلك الكاتب وأمثاله ممن يقفون فى ثقافتهم عند حد معين لا يريدون تجاوزه لئلا تنكشف لهم الحقيقة وتتحداهم، مع أن الحق أولى بأن يتبع بإجماع الرأى السليم، فإننا نقدمها هنا لأن ادعاءاته تدفعنا بالطبع إلى مناقشة ما ذهب إليه والرد عليه، وهذا حق واجب مشروع، وأننا نقوم بتقديم هذه الأدلة على الوجه الآتى:-

أولا: تفنيد الادعاء بعدم وجود التوراة والإنجيل الأصليين فى الكتاب المقدس الحالى:

إن قول السيد م.ع. درويش بأن

التوراة الصحيحة هى التى نزلت على موسى. كما أن الإنجيل الصحيح هو الذى نزل على المسيح. وأنهما غير التوراة والإنجيل المتداولين بين الناس. ليعتبر نقطة البداية فى ادعائه المزعوم بتحريف الكتاب المقدس. وهو إنما يقول ذلك متأثراً بفكرة التنزيل التى يعتقد بها فى كتاب ديانته.

ويقف فى وجهه هنا **برهان العقل والمنطق** مقرراً الواقع بأنه لا وجه للقياس هنا إذ ليس هناك ما يقال عنه بالنسبة للكتاب المقدس أن هذه هى التوراة التى نزلت على موسى. ولا أن هذا هو الإنجيل الذى نزل على المسيح. لأن كتابات التوراة والإنجيل قد نزلت على أنبياء ورسل عديدين قد بلغوا أربعين شخصاً. وقد استغرقت التوراة (العهد القديم) نحو ألف سنة فى كتابتها من سنة ١١٠٠ إلى سنة ٢٠٠ ق.م. وقد تمت كتابة الإنجيل (العهد الجديد) خلال عدة قرون أخرى .. وليس هذا بالأمر الهين إطلاقاً.

وقد بدأ موسى كليم الله منذ ثلاثة آلاف سنة بكتابة التوراة مبتدئاً بأسفارها الخمسة الأولى المنسوبة إليه. وكان ذلك بطريقتى «الأعلان المباشر» فيما يختص بالحقائق التى لم تكن معروفة من قبل. و«التاريخ المقدس» وهو ما قام بتدوينه بأمر الله بعد أن نشأت العلاقة بينه تعالى وبين شعبه (خر ١٧:١٤) فكتب تاريخهم. كما «كتب مخارجهم برحلاتهم حسب قول الرب» (عدد ٣٣:٢) وواصل الكتابة من بعده يشوع فكتب ما دار فى عصره فى سفر شريعة الله (يش ٢٤:٢٦) ومن بعده صموئيل الذى كتب قضاء المملكة فى السفر ووضعه أمام الرب (صموئيل الأول ١٠:٢٥) وهكذا كان يتوالى الأنبياء كتبة التوراة فى تدوينها. حتى لقد صدر أمر من الرب لارميا النبى بأن يكتب بقوله له: «خذ لنفسك درج سفر واكتب فيه كل الكلام الذى كلمتك به» (٣٦:٢،١) ولذلك فإن أشعياء النبى يؤكد عصمة التوراة. وإنه قد تم تدوينها بالوحى بقوله: «فتشوا فى سفر الرب واقرأوا واحدة من هذه (أى المكتوبات المقدسة) لا تفقد .. لأن فمه قد أمر وروحه قد جمعها» (٣٤:١٦) وكذلك دانيال النبى رجع إلى الكتب المقدسة التى كانت .. إلى أرميا النبى (٩:٢) وبعد السبى قام عزرا بجمع هذه الأسفار المقدسة وأتى بها أمام الجماعة وقرأ فيها من الصباح إلى نصف النهار (٧:١-١٠) يضاف إلى ذلك شهادة الله لانبيائه بأنه أعطاهم كلامهم شريعة الحق.

وأما بالنسبة للإنجيل فإنه من المعلوم أن المسيح نفسه لم يكتب شيئاً، وما الإنجيل الذى دعا إليه فى أعقاب دعوة المعمدان سوى بشارة التوبة والإيمان بملكوت الله. وكان يقدمه شفاها دون أن يكون تنزيلا مكتوباً كما يتراءى لمن يطعن فى الإنجيل

باطلا بقوله بأن الإنجيل الصحيح هو الذى نزل على المسيح لا الذى كتب عنه من بعده، بزعم أن الأناجيل التى كتبت عنه ليست هى الإنجيل، مع ما فى ذلك من بطلان، لأن الأناجيل الأربعة إنما هى إنجيل واحد قام بكتابته أربعة بشيرون، كل من زاويته الخاصة.

ومن ثم فإننا نحيل إلى هذا الكاتب نفس السؤال العابث الذى يوجهه إلى رجال الفاتيكان **طالباً منهم الإجابة عليه بقوله المجافى لكل منطق وعقل بأن الإنجيل الذى أنزله الله على المسيح شىء يختلف تماماً عن مؤلفات (أناجيل) لوقا ومتى ومرقس ويوحنا وهى التى كتبت بعده، ولكن أين هو الآن؟ ولما كانت البينة على المدعى بنص القانون أصبحت الاجابة مطلوبة منه هو، أى إذا كان هناك إنجيل أنزل على المسيح فعلا بحسب تصوره وقوله وهو غير هذه الأناجيل الحالية ومختلف عنها فليظهره**، وليقدمه على رؤوس الاشهاد بينة قاطعة على ما ذهب إليه فى إدعاءاته هذه، متمماً بذلك نص التحدى الذى يوجهه للغير بالقول: «هاتوا برهانكم أن كنتم صادقين» والحجة الآن تلزمه ذلك دون غيره !

أما نحن من جانبنا فاننا نقول من باب الترجيح أن بعض أتباع المسيح قد بدأوا فى كتابة هذه الأناجيل عنه عن طريق جمع مجموعات من أقواله وأفعاله لاستعمالهم الخاص فى البداية، وهنا بدأت القصص التى تروى عن يسوع المسيح تجمع فى كتب صغيرة كانت نواة لعدة أناجيل، من الممكن أن تكون قد بلغت مائة إنجيل ــ على حد قول موريس بوكاى العصرى ــ وكان على الكنيسة أن تمحص هذه الأناجيل، وتمت مصادقتها فقط على هذه البشائر الأربع منها بعد أن ثبتت قانونيتها واعتبرت فاتحة العهد الجديد، وقد تم الاعتراف بقدسيتها التى قد تأصلت بما أحاط بها من براهين داخلية وخارجية، ورفضت الكنيسة الاعتراف بغيرها من الأناجيل فلم تعتمد سواها مثل «إنجيل توما» و«إنجيل برنابا» وغيرهما بعد أن ثبت إن الكثير مما تحتويه من أقوال دخيل ومزور، ومن ثم لم يتقرر وحيها ولا قبولها، وشبيه بهذا يحدث فى سائر الأديان يتمثل فى كتب الأبو كريفا، والأحاديث الدخيلة، وتمحيص آيات المصحف عند جمعه واعتماده، ورفض الادعياء الكذبة فى كل زمن يظهرون فيه منذ بدء ظهور الأديان!.

واستناداً إلى هذا التمحيص الدقيق تقررت قانونية أسفار العهد الجديد بعد أن كانت أسفار التوراة قد تقررت بمعرفة المجمع اليهودى وعلى يد عزرا الكاتب، ووضعت هذه الأسفار كلها فى قائمة واحدة

فى مجمع نيقية، وهى تطابق تماماً الكتب المتداولة بين أيدى المسيحيين اليوم.

وأما الإدعاء بحصولها على «التقدير العام» لاستبقاء الكنيسة لها فمرجعه أن المسيحيين القدامى لثقتهم المطلقة فى صدق الإنجيل الذى بين أيديهم، لم يحرقوا حتى الكتب التى ألفها أصحاب البدع عن المسيح فى الفترة الواقعة بين القرنين الثانى والرابع (لترويج بدعهم) وأطلقوا على كل منها زوراً وبهتاناً اسم «الإنجيل». مع أن بعضها مكتوب بواسطة أشخاص لم يلازموا المسيح بل لم يعاينوه، مثل إنجيل المصريين وإنجيل العبرانيين، وحتى لو كان منها ما يحمل أسماء بعض تلاميذ المسيح ــ مثل توما وبرثلماوس ومتياس ــ فإن فيه الكثير من الأخطاء التاريخية والجغرافية، ومنها ما يخالف ما يتصف به المسيح ويتعارض مع ما ذكره أنبياء العهد القديم ورسل العهد الجديد جميعاً عنه، ومنها ما يطالب بالناموسية ونفى هلاك الاشرار، ولذلك لم يردذكرها فى جداول الكتاب المقدس التى عملت ابتداء من القرن الثالث، فضلا عن ذلك لم تقرأ فى الكنائس المسيحية فى أى عصر من العصور، على خلاف الأناجيل والرسائل التى اعتمدت بقبول الكنائس لها وإقرار قانونيتها نهائياً فى المجامع المسكونية ابتداء من مجمع نيقية!.

ويقرر ايريناوس أسقف ليون ذلك بقوله: «إن الذين أبلغونا الإنجيل كرزوا به أولا ودونوه بإرادة الله ومشيئته ليكون أساس إيماننا». ويضيف: «أن تعاليم الرسل المأثورة انتشرت فى جميع أنحاء العالم، وكل من يفتش على مصادر الحق يجد أن كل كنيسة محافظة على هذه التعاليم، وتعتبرها مقدسة»

وأما بالنسبة للمسمى "إنجيل برنابا" بالذات، الذى ينسب زوراً لبرنابا (أحد السبعين رسولا) ويستخدم كاعتراض على صدق الإنجيل

فيكفى أن نعرف عنه أنه مكتوب باللغة الايطالية على خلاف أناجيل ورسائل العهد الجديد المكتوبة كلها فى الأصل باليونانية، ويقال أن راهباً اكتشف وجوده بمحض الصدفة بمكتبة الفاتيكان، ولقد جمع معلومات مختلفة عن التوراة والإنجيل والقرآن مما يدل على أن كاتبه قام بكتابته بعد ظهورها كلها، ولا توجد أية إشارة بالأناجيل ولا فى كتابات الآباء إلى هذا الإنجيل، كذلك لم يشر القرآن أبداً إلى اسم برنابا، وأما أدلة عدم صحة هذا الإنجيل فهى:-

١- يحتوى هذا الكتاب على اقتباسات مأخوذة عن دانتى مثل وصفه جهنم بسبع دوائر أو طبقات، كذلك قال عن السماء إنها تسع وعاشرها الفردوس كقول دانتى، كما أنه مملوء بوصف البيئة الايطالية وعاداتها.

٢- إنه يناقض ما جاء بالتوراة والإنجيل، فهو مثلا يعارض ذبح إسحق،

ويعتبر سن دانيال عند السبى سنتين. وبالنسبة للإنجيل يزعم أن يهوذا هو الذى صلب وليس المسيح الذى قام بتجريده من خصائصه الإلهية خلافاً لما ورد عنه بالأناجيل محرفاً الكثير من الأقوال التى تثبت هذه الخصائص، بل بانقاصه وتفضيل غيره عليه بطعون تجديفية.

٢- لقد جهل الكاتب جغرافية فلسطين فيقول: أن الناصرة (التى ولد فيها المسيح) وأورشليم (العاصمة) هما ميناءان على البحر. والحال أن الثانية مدينة فى السهل بينما الأولى مدينة قائمة على هضبة ارتفاعها ١٠٠٠ قدم على سطح البحر. ويذكر أن اليهود كانوا يضعون الخمر فى براميل ويدحرجونها. والحال أنهم كانوا يضعونها فى زقاقات من الجلد. كما أنه يشير إلى نظام الاقطاع والفروسية مما لا وجود له سوى فى أوربا خلال العصور الوسطى. وكذلك محاجر الرخام وغيرها.

٤- كما أن الكتاب مملوء بقصص خرافية وخيالية منها إن الله خلق كتلة من التراب وتركها ٢٥ ألف سنة. وهو لا يفعل بها شيئاً. فعلم الشيطان أن الله سيخلق من هذه الكتلة ١٤٤ ألفاً موسومين بعلامة النبوة. إن الشيطان عرف أن الله موجود قبل أن يعرف ذلك الأنبياء بستين ألف سنة. وخرافات أخرى عن الحية وكيفية وقوع العقاب عليها. وعن العلامات المرتبطة بالقيامة.

وقد نقل عن كتابى «ملحق سفر دانيال» و«سفر أخنوخ» وهما كتابان يردان فى مجموعة «الابو كريفا» (أى الأسفار السرية ـ المزيفة ـ) قوله: أن الملاك روفائيل يقبض الأرواح ـ وعند العامة عزرائيل حالياً ـ وقصة سوسنة. ومسخ بعض المصريين وحوشاً. الأمور التى لا أساس لها فى الكتاب المقدس.

وأما بالنسبة للقرآن فقد استبدل اسم «قابيل» الوارد به واستخدم بدلا منه اسم «قايين» الذى جاء فى التوراة. وزعم أن مريم ولدت المسيح دون ألم خلافاً لما جاء فى سورة مريم بأن المخاض قد جاءها. وزعم بأن على الرجل أن يقنع بالمرأة التى أعطاها إياه خالقه ولا ينظر إلى غيرها. بينما تعدد الزوجات جائز فى الإسلام ـ وتبلغ مهاتراته أقصاها بقوله: أن المسيح أعلن لكهنة اليهود والسامرية عن نفسه أنه ليس المسيا. لكن المسيا هو نبى العرب الذى سيأتى بعده ـ والحال أن المسلمين لا يعتقدون أن نبيهم هو المسيا بل يعتقدون إن المسيا هو المسيح. وخاصة أن كلمتى «المسيح» و«المسيا» مترادفتان أى أن معناهما واحد.

يظهر من ذلك وغيره كثير من الخرافات والتجاديف والمبالغات التى كشف عنها مؤلف كتاب «إنجيل برنابا» (إنجيل مزيف) فى ضوء التاريخ والعقل والدين. فليرجع إليه من يشاء اكتفاء بما سبق ذكره ...

ويكفينا هنا أن نستشهد عن

تزييف هذا الإنجيل بشهادة اثنين من علماء المسلمين.

فأولا: الأستاذ العقاد فيما كتبه فى صحيفة الأخبار الصادرة فى ٥٩/١٠/٢٦ عن إنجيل برنابا قوله بالحرف الواحد: إن حقيقة واحدة يمكن الجزم بها وهى أن إنجيل برنابا لم يكن موافقاً للاناجيل الأخرى فى جوهره وأصوله، لأنه لم يعتمد مع تلك الأناجيل عند إقرارها .. أما فيما عدا هذه الحقيقة فالواضح لدينا:

(١) إن كثيراً من عبارات الإنجيل المذكور قد كتبت بصيغة لم تكن معروفة قبل شيوع اللغة العربية فى الأندلس وما جاورها.

(٢) إن وصف الجحيم فى إنجيل برنابا يستند إلى معلومات متأخرة لم تكن شائعة بين اليهود والمسيحيين فى عصر الميلاد.

(٣) إن بعض العبارات الواردة به تسربت إلى القارة الأوربية نقلا عن المصادر العربية، وليس من المألوف أن يكون السيد المسيح قد أعلن البشارة أمام الألوف باسم «محمد رسول الله» ولا يسجل هذا الإعلان فى صفحات الإنجيل، فيما عدا هذا المزور.

(٤) تتكرر فى هذا الإنجيل بعض أخطاء لا يجهلها اليهودى المطلع على كتب قومه، ولا يرددها المسيحى المؤمن بالأناجيل المعتمدة. ولا يتورط فيها المسلم الذى يفهم ما فى إنجيل برنابا من المناقضة بينه وبين نصوص القرآن نفسه ... ولهذا فأغلب الظن أن هذا الإنجيل قد يكون بقلم يهودى أو مسيحى أسلم فأحب أن يعدل الكتاب بما يوافق معتقده، ولم يشمله كله بالتعديل لصعوبة تعديل كتاب كامل على نسق واحد، فبقيت فيه مواضع التناقض والاختلاف»!.

وثانياً: قال دكتور محمد شفيق غربال فى الموسوعة العربية الميسرة تحت كلمة «برنابا» ما يأتى: «إنجيل مزيف، وضعه أوربى فى القرن الخامس عشر، وفى وصفه للوسط السياسى والدينى فى القدس ــ أيام المسيح ــ أخطاء جسيمة، كما أنه يصرح على لسان عيسى أنه ليس المسيح، إنما جاء مبشراً بمحمد الذى سيكون المسيح».

وفضلا عن ذلك فإنه رغم انقسام المسيحيين إلى طوائف مختلفة بسبب طرق التفسير، إلا أنه لم تظهر بينهم طائفة واحدة (مهما كان عدد أفرادها) تؤمن بهذا الإنجيل المزيف فى أى عصر من العصور، وفى هذا كل الكفاية لمن يريد الوقوف على الحقيقة !!

فإن كانت التوراة والإنجيل الحاليان محرفين على حد زعم من يزعمون بذلك، فما هى إذن التوراة وما هو الإنجيل الذى جاء القرآن مصدقاً لهما

ومهيمناً عليهما. وهذا يستلزم احتفاظهما بما فيهما من حقائق إلهية .. بل لقد أمر الذين آمنوا ألا يفرقوا بينه وبين الذى أنزل من قبل. أنظر شهادته الصريحة التى لا تقبل التأويل وذلك فى مواضع عديدة منها:

٥ نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس (آل عمران ٣).

٥ وآتينا (عيسى) الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين (المائدة ٤٦).

٥ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله (المائدة ٤٨).

٥ قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين (القصص ٤٩).

بل إنه ليدعو جميع المؤمنين على السواء للايمان بما جاء فى التوراة والإنجيل والحكم بهما بقوله:

٥ أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين (الأنعام ٨٩).

أليست هذه شهادات قاطعة من القرآن نفسه بصحة التوراة والإنجيل وعدم تحريفهما وتبديلهما بالزيادة أو النقص؟. ومن ثم فإنه ليس من المعقول قط أن يحدث مثل هذا التحريف المزعوم لا قبل القرآن ولا بعده. لأن الادعاء بالتحريف يعتبر طعناً فى مهمة القرآن المزدوجة كمصدق للتوراة والإنجيل اللذين نزلا من قبله وكمهيمن عليهما (أى حارس لهما) من بعده. وخاصة إذا وضعنا فى الاعتبار شهرة الكتاب المقدس الفائقة الحد وانتشاره فى كل العالم بكل اللغات.

ثالثاً: إثبات فساد برهان النسخ الوهمى المصطنع لمساندة دعوى التحريف.

ونراه لزاماً علينا هنا أن نواجه الإدعاء بأن الإيمان بالتوراة والإنجيل يقف عند حد التصور الوهمى بنزولهما على موسى والمسيح دون أن يكون لهما وجود حقيقى. ومن ثم فلا داعى للبحث عن التفاصيل فيهما. وأن هذه يدعى بوجودها فى القرآن ـ الذى يقال بأنه جاء ناسخاً لما سبقه من كتب سماوية ـ استناداً إلى زعم تحريف التوراة والإنجيل الحاليين ـ فهذه هى قضية النسخ التى ظهرت فى أعقاب دعوى التحريف لمساندتها.

ومع أن هذه القضية نشأت أصلا فى نطاق القرآن وتضمنتها إحدى آياته التى تقول: «ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها» (سورة البقرة ١٠٦) والتى لأئمة التفسير شروح

وتعليقات عليها يستطيع أن يرجع إليها من يشاء. إلا أننا قد وجدنا أن هذه القضية لا تنطبق على التوراة والإنجيل. وقد شهد بذلك أئمة التفسير الإسلامى أنفسهم. لذلك فإننا نعتبر أن من أقوى الأدلة الخارجية على صحة الكتاب المقدس وسلامته من التحريف هو «التواتر».

ولذلك قال الفخر الرازى بأن تحريف التوراة والإنجيل ممتنع لأنهما كانا كتابين من الشهرة والتواتر إلى حيث يتعذر ذلك فيهما (مجلد٢ س١٢٢،١٢٢) وكم أظهر دهشته عندما كان يسمع أن أحداً يقول بتحريفهما فقد قال فى تفسير آية ٤٦ من سورة النساء التى ورد بها القول : «من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه» كيف يمكن التحريف فى الكتاب الذى بلغت آحاد حروفه وكلماته مبلغ التواتر المشهور فى الشرق والغرب (مجلد٢ س٢٢٧،٢٢٨) وكرر الرازى عجبه هذا إذ قال: «لأن اخفاء مثل هذه التفاصيل التامة فى كتاب وصل إلى أهل الشرق والغرب ممتنع» (مجلد٤ س٢١).

وإذاً فالادعاء بأن التفاصيل التى تحتويها التوراة والإنجيل الحاليان محرفة ولا يعتد بها وقد استبدلت (أى ألغيت) بما جاء فى القرآن ادعاء باطل ولا يقوم عليه دليل.

ليس فقط لإستحالة تغيير كلمات الله كقوله تعالى فى التوراة «لا أغير ما خرج من فمى» (مز ٨٩:٣٤) وأيضاً فى الإنجيل قول المسيح: «لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل» (مت ٥:١٧) فالعهد الجديد، لم ينسخ العهد القديم. وإنما شرحه وتممه وأبرزه فى شكله الروحى، الذى يلائم الناس فى كل زمان ومكان، وخلاصة القول، إن كل تعاليم الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ثابتة، لا تقبل النسخ، وهذا يعنى أن كلمات الوحى لا تتغير بنسخ أو إلغاء، يشهد بذلك القرآن نفسه فى الآيتين ٣٤ و١١٥ من سورة الأنعام عن تكذيب **الرسل الذين من قبل وصبرهم على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصر الله بقوله: "ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين"**، وقد تأكدت نفس الحقيقة فى (الآية ٦٤ من سورة يونس) بأن **"لا تبديل لكلمات الله"** (وسورة الكهف ٢٧). فهذه شهادة بعدم إمكان تحريف كلام الله الذى حمله مرسلون من قبل القرآن، وهو ما جاء فى التوراة والإنجيل وهما ما أنزلا على النبيين من ربهم، الأمر الذى يجعل التسليم بفكرة النسخ مخالفة كبرى لتعليم القرآن نفسه الذى يأمر بعدم التفريق بين الأنبياء مما يشهد بأن لا تغيير فى التوراة والإنجيل. وهنا تعترينا الدهشة من جهة من يقبلون دعوى التحريف ومن وجه آخر يعترفون بأن كلام الأنبياء هو كلام الله وبأنه لا تبديل لكلمات الله ــ مع تسليمهم أيضاً بأن التوراة والإنجيل

هما من عند الله أى أنهما كلام الله ـ ومعنى ذلك أن كلام الله ليس منسوخاً بل هو أساس ثابت لا يسقط إلى الأبد. والأدعاء بالنسخ لذلك هو مجرد رأى شائع لا يستند إلى أى أساس. وهو لا يستطيع أن يقف أمام الحقيقة لأسباب كثيرة منها:

١ - إن النسخ معناه الإبطال ورفع الحكم، وهذا لا ينطبق على نصوص التوراة والإنجيل: لأن حكمهما، لا يزال قائماً ومعمولا به لدى ربوات الملايين من بنى البشر فى جميع أنحاء العالم. وتعمل بموجب أحكامهما أعظم دول العالم ذات السيادة والتقدم فى مجالات العلوم والاكتشافات. بل إن القوانين نفسها قد أخذت عن شريعة موسى. وجميع الشعوب مدينة بمدنياتها القائمة لانتشار التوراة والإنجيل ووصولهما إليها .. ومن المسلم به أن الحقائق الجوهرية المعلنة فى الكتاب المقدس ـ كالشريعة الأدبية مثلا وموعظة الجبل ـ لا تقبل التغيير. ولا يؤثر عليها مرور القرون واختلاف العصور. وإن ما أتى به كتاب المسيحية من حيث السمو الأدبى والروحانية والحرية لما لا يمكن وجوده فى غيره مما يستحيل معه هذا النسخ المزعوم. الذى لو سلمنا جدلا بوجوده فإن الناسخ يكون حتماً أفضل من المنسوخ. الأمر الذى لا نجده فى الحالة التى نحن بصددها على الإطلاق.

٢ - إن هذا النسخ المزعوم يتعارض مع حض القرآن بشدة أهل الإنجيل والتوراة على إقامة شرائعهما واتباع عقائدهما: وهو فى ذلك يقول: «ياأهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والإنجيل» (المائدة ٦٨) مما ينفى نسخهما وإبدالهما بأى كتاب آخر أياً يكون. ولو كان الأمر كذلك لما صح أن يقول القرآن: «وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله» (المائدة ٤٣). وأيضاً: «وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه» (المائدة ٤٧). أليس فى حضه هذا على إقامة ما جاء بالتوراة والإنجيل اعتراف ضمنى بصحتهما وسلامتهما من التحريف؟ بل إنه يهدد من لا يقبلهما بالعقاب الشديد فى الآخرة بقوله فى سورة (غافر آية ٧٠-٧٢): إن «الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون إذ الاغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون» ويفسر ذلك البيضاوى بقوله: إن الكتاب هو القرآن أو الكتب السماوية على العموم. أى سائر الكتب التى أرسلها الله برسله وأوصى بها لهم.

٣ - كان من المعقول أن يقال: بأن القرآن نسخ التوراة والإنجيل وحل محلهما فيما لو كان قد احتوى كل ما فى الكتابين من أحكام وزاد على ما فيهما: وقد سبق أن ذكرنا بأن التعاليم التى جاءت بهما هى التى رفعت مستوى الجنس البشرى. أما وإن قصص الأنبياء والتشريعات الواردة فى القرآن بإيجاز واختصار فقد وردت فى التوراة

والإنجيل بتفصيل. فإن ذلك قد جعلهما في كل العصور مرجعاً صالحاً لتوضيح الأمور. فلا غنى للبشر عنهما في أي جيل أو عصر. والقرآن نفسه يشهد بذلك إذ يقول: «وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون» (النحل ٤٣) قال في الجلالين إن أهل الذكر هم العلماء بالتوراة والإنجيل. وقوله: (إن كنتم لا تعلمون) ذلك فإنهم يعلمونه (ص٣٥٧).

وقد جاءت أقوال القرآن متتابعة بالإيمان بما أنزل إلى جميع النبيين وعدم التفرقة بين أحد منهم (البقرة ١٣٦) وقوله: «يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم» (النساء ٢٦) مما يجعل من أهدافه الاهتداء بسنن أهل الكتاب. وقد قال الطبري في شرح آية سورة البقرة سالفة الذكر: «وما أوتي موسى وعيسى. وما أوتي النبيون» يعني آمنا بالتوراة التي أتاها موسى. وبالإنجيل الذي أتاه عيسى. والكتب التي أتى بها النبيون كلهم. وأقررنا وصدقنا. أن ذلك كله هدى وحق ونور من عند الله. فإن جميع من ذكر الله من أنبيائه على حق. مصدق بعضهم بعضاً. على منهاج واحد. في الدعاء إلى توحيد الله والعمل بطاعته» (الطبري٣ ص١٠٩) وهو يقول أيضاً: «إن القرآن جاء مصدقاً. لما كان قبله من كتب الله التي أنزلها على أنبيائه ورسله. ومحققاً ما جاءت به رسل الله من عنده. لأن منزل جميع ذلك واحد. فلا يكون فيها اختلاف ... بل هي هدى للناس. بيان لهم من الله فيما اختلفوا فيه» (٦/ ١٦٠،١٦١).

قال الحاج رحمة الله الهندي في كتابه «إظهار الحق»: «إن القول بنسخ التوراة بنزول الزبور (المزامير) ونسخ الزبور بظهور الإنجيل. ونسخ الإنجيل بنزول القرآن لا أثر له في القرآن ولا في الحديث».

وذلك لأنه ليس في نصوص القرآن ما يشير إلى أنه نسخ الكتاب المقدس ولا أبطل شرائعه. بل على العكس نراه يحض أهل التوراة والإنجيل على إقامة أحكامه الإلهية بإخلاص. وقد أجمع ثقاة المفسرين كالزمخشري والبيضاوي والجلالين. على أن القرآن لم يأت ناسخاً للكتب الإلهية التي جاءت قبله بل على العكس نجده ينوه بالكتاب المقدس ويجعله إماماً للكتب ورحمة للعالمين كما في (سورة الأحقاف ١٢). (وسورة الأنعام ٩١) ويعتبر المرجع الصالح لإزالة الشكوك كما في (سورة يونس ٩٤) وكذلك الحال بالنسبة للمزامير فقد قيل عنها: «وآتينا داود زبوراً» (الاسراء ٥٥).

أفلا يكون من التجني على الحقيقة تحويل بعضهم للتصديق والتأييد المشار إليهما إلى نسخ وإبطال للكتاب المقدس العزيز رغم ما فيه من تعاليم دينية يؤمن بها ربوات الملايين من الناس ورغم إقرار القرآن بخطأ إهمالها بقوله: «وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون

الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه» (سورة يونس ٣٧). وأيضاً: «أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين». (الأنعام ١٥٦) **وواضح أن المقصود بهاتين الطائفتين اليهود والنصارى وأن هناك إغفالا من جانب المخاطبين عن دراسة هذا الكتاب رغم نزوله على الطائفتين المشار إليهما.**

وهكذا سقطت دعوى التحريف إذ قد ثبت بطلانها.

لقد كان هذا الكتاب العزيز منتشراً من قبل الادعاء عليه بالتحريف بين أيدى مئات الملايين من سكان الدولة الرومانية، وإلى حدود فارس وشبه الجزيرة العربية ـ وكانت له ترجمات إلى السريانية والأرمنية واللاتينية والقبطية باللهجتين البحيرية والصعيدية والعربية ـ فإذا كانت أسفار التوراة والإنجيل محرفة فكيف صادق عليها القرآن وجاء مؤيداً لها ودعاها «الفرقان». أى الذى يفرق بين الحق والباطل (البقرة ٥٣)؟ بل ورد به ما يجعل التحريف ضرباً من ضروب الاستحالة القول: «الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم» (البقرة ١٤٦) وهو يصرح بأنهم توارثوه عن آبائهم بقوله: «فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب» (١٦٩ الأعراف).

وتبدو استحالة التحريف بالأكثر من القول: «إنا نحن أنزلنا الذكر وإنا له لحافظون» (الحجر ٩) وفى تفسير الجلالين لهذه الآية يقول: «إنه يحفظ ما أنزله من التبديل والتحريف بالزيادة أو النقص» ـ فإذا كان الله تعهد بنفسه أنه سيحفظه من التحريف فكيف يقول قائل بأن الكتاب قد صار به تحريف؟ وإذن فيستحيل التحريف.

فلو كان قد حدث تحريف بالكتاب المقدس للزم أن يتحاشى القرآن ذكره بالإجلال والإكرام. ووجب عليه ألا يغمض عينيه عن هذا التحريف بل يظهره ويشرحه دون أن يترك أمره لأهواء الادعياء الذين إذ قد أعيتهم الحيل قالوا: إن هذا التحريف معنوى لا لفظى بإبطال معانى الآيات وتأويلها على غير تأويله دون دليل أو تحديد مستندين فى ذلك إلى (سورة آل عمران ٧٨) ونصها: «وإن منهم لفريقا يلون ألسنتهم بالكتب لتحسبوه من الكتب وما هو من الكتب ...» وواضح منه ان المقصود به هو «التحريف المعنوى» وواضح أيضاً تماماً من كلمات الإنجيل أن يسوع المسيح نفسه قد اتهم معاصريه بسوء التفسير لا بالتلاعب بحرفية النصوص بقوله بعد ان ذكر حوادث وأمثلة معينة: «مبطلين كلام الله بتقليدكم الذى سلمتموه. وأموراً كثيرة مثل هذه تفعلون» (مر ٧:٩-١٣) ولذلك لم يرد بالقرآن أى موضع من التوراة والإنجيل حدث فيه تحريف حرفى !!

إثبـــات استحالة التحريـف

«قد عظمت كلمتك على كل اسمك»
(مز ١٣٨: ٢)

«إله الآلهة تكلم» .. لقد تكلم في الخليقة كتاب الطبيعة، كما تحدث بالضمير في داخل الإنسان وذلك لكي لا يترك نفسه بلا شاهد. إلا أن محبته العظيمة قد اقتضت أنه لا يترك البشر لنور الطبيعة وأعمال العناية، بل باركهم باعلان فائق إذ كلمهم بكلمات الوحي، وقدم لهم إعلانه النهائي الكامل في الكتاب المقدس بعد أن تم تجميع أسفاره بالتتابع!!

وهذا مما يجعل الأسفار المقدسة لا تثمن لأنها ليست كلام إنسان أو تأليف بشر، بل هي إعلان الله ! إنه الاعلان الوحيد الفائق الطبيعة الكامل الانسجام والتوافق والذي لا يمكن سبر غوره ولا بلوغ نهايته .. ولذلك كان من نكد الدنيا أن يقوم أناس ــ سواء في الشرق أو الغرب ــ يتحاملون على كتاب الله، هذا ويدعون تحريفه، ورغم أننا قدمنا براهين سقوط هذه الدعوى في الفصل السابق إلا أننا نراه مناسباً هنا أن ندلي ببراهين أخرى لإثبات استحالة تحريف الكتاب المقدس حتى لا يكون هناك عذر لأي مكابر يتمسك بهذا الادعاء الباطل. وهذه البراهين هي:-

أولا : شهادة التواتر في التاريخ المقدس:

لقد بدأ هذا الكتاب شفوياً بدون أن يكون وحياً مكتوباً، وانتظر الله ألفي سنة من خلق آدم إلى دعوة إبراهيم الذي به بدأ وجود الشعب الذي هيأه الله ليأتمنه على أقواله التي بدأ تدوينها موسى الكليم .. وعن ذلك يقول القرآن: «ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة .. وفضلناهم على العالمين» (الجاثية ١٦). وأيضاً: «ووهبنا له (لإبراهيم) إسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب» (العنكبوت ٢٧).

ويشهد علماء الكتاب بأن عملية نسخه خلال القرون المستطيلة والتي سارت بدقة هي مثار الدهشة والعجب إذ أنها كانت تتم بمنتهى الدقة، إذ كان اليهود حماة غيورين على حرفيته تأكيداً منهم لوحيها المطلق، وكانت أسفاره تكتب على رقوق من جلود حيوانات طاهرة، وبحبر خاص، ولم يكن النقل جائزاً إلا عن نسخة رسمية مصدق عليها. وكان الناسخ قبل أن يكتب كلمة يحصي عدد حروفها أولا، ثم ينطق الكلمة بصوت جهوري،

وإذا حدث خطأ ما فى حرف من الحروف كان الرق يحرق برمته. وعند الانتهاء من النسخ تراجع النسخة فوراً على النسخة الرسمية بمنتهى الدقة. وأذا عثر على حرف واحد زائداً أو ناقصاً كانت تحرق برمتها. كانت هذه هى الدقة المتناهية فى النسخ والحرص الشديد على سلامته من الزيادة أو النقص. حتى أن الكتبة قديماً كانوا يقومون بعد الأحرف فى كل سفر. بل وفى كل صفحة مما يجعل التحريف اللفظى فى التوراة مستحيلا !!

أما عن العهد الجديد فقد تم نسخه عن المتن الأصلى بنفس الدقة والأمانة التى أشتهر بها نساخ العهد القديم. وقد تمت مقابلة جميع النسخ القديمة ومطابقتها على ترجماتها. الأمر الذى حقق عدم وجود أى خلاف أو تعارض لا بين هذه الترجمات والأصل. ولا بين بعضها البعض. وفضلا عن ذلك فإن كتابات الآباء. وبعضهم عاصر الرسل. قد احتوت نصوص العهد الجديد لا المعانى فقط بل والألفاظ !!

وهكذا تمت عملية نسخ الأسفار المقدسة بدقة هى مضرب الأمثال تؤكد بأنها ما زالت إلى اليوم على صحتها ونزاهتها. لم يلحقها أدنى تغيير منذ كتابتها فى صدر المسيحية إلى أن وصلت إلينا كما هى الآن !!

وكما شهد القرآن لبنى إسرائيل باءتمانهم على التوراة. نراه يشهد أيضاً لرسل المسيح الأطهار الذين أوتمنوا على كتابة الإنجيل بالنزاهة والأمانة بتلقيبه لهم «بالحواريين أنصار الله» (آل عمران٥٢ والصف١٤).

ويشهد تاريخ الكنيسة بأن الآباء كانوا يقتبسون من نصوص الإنجيل لإثبات تعاليمهم ويردون كل دعوى إليها عند الاختلاف فى التفسير. ولقد ظهر كثيرون من أهل البدع. **ولكن لم يجسر أحدهم على المساس بالنصوص المقدسة**. كما أنه لم يكن من المعقول حدوث تحريف من المتمسكين بها. وهى لازالت تضمن من التعاليم أصعبها. وكذلك تشدد ضد حياة النعومة والتراخى. وكان يبدو التحريف معقولا لو أزيلت من صفحات العهد الجديد مثل هذه الصعوبات والنواهى. **فتمسكهم المطلق بها إنما هو من الأدلة القوية لعدم التحريف.**

بل إن طائفة الغنوسيين المناهضة للكنيسة خلال القرنين الثانى والثالث لم تستطع المساس بنصوص الإنجيل. بل كانوا يرجعون إليها ويستندون عليها ويستشهدون بها .. وقد فعل نفس الشىء سائر المبتدعين الذين انعقدت بسببهم المجامع المسكونية ابتداء من القرن الرابع. وقامت بفحص خلافات العقيدة. **إلا أن أحداً ما لم يطعن فى سلامة الكتاب المقدس ولا فى صحته** .. وحتى أعداء المسيحية من فلاسفة وعلماء وأباطرة **لم يخطر**

ببالهم قط أن يطعنوا فى صحة الكتاب المقدس التى لا سبيل إلى انكارها !!

هذا ورغم ما بين مذاهب المسيحية من اختلاف لم تظهر نسخة واحدة من الكتاب المقدس مغايرة لغيرها من النسخ، بل كل النسخ فى أنحاء الأرض متشابهة لفظاً ومعنى، وجميع ترجماته متطابقة .. **ولقد عجز أدعياء التحريف كما سلف البيان عن إقامة الحجة عليه أو تقديم المتن الصحيح أو الاستدلال على أى مكان يوجد فيه ..**

ثانياً : شهادة القرآن بنصوص صريحة واقتباسات مؤكدة من الكتاب المقدس:

الشاهد من آيات عديدة أن القرآن يسمى اليهود والنصارى بأهل الكتاب، وهو كتاب الله هنا بعهديه القديم والجديد، وقد ذكر حوادث كثيرة مما جاء بهما وذكرها فى إيجاز، فلم يعين زمان حدوثها ولا مكانه ولا اسماء من فيها ولا عددهم بخلاف ما وردت بهما، ويشهد له بقوله: «ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذى أحسن وتفصيلا لكل شىء وهدى ورحمة» (الأنعام ١٥٤)، بل ويؤكد بأنه اقتبس قصص الأنبياء وبعض الشرائع من الكتاب المقدس الذى هو أقدم منه واصفاً نفسه بالقول: «وإنه لفى زبر الأولين» (الشعراء ١٩٦) وعلى زعم الرافضين لذلك يصفونه بقولهم: «وقالوا أساطير الأولين اكتتبها» (الفرقان٥) مؤيداً ذلك بالقول: «فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك» (يونس ٩٤) والكتاب المقصود هو التوراة والإنجيل، وأليس من الواضح هنا أن إحالة الأمر فى أى شك بسؤال الذين يقرأون الكتاب حقيقة تنفى النسخ والتحريف على حد سواء؟ لأنه إذا كان بالكتاب المقدس تحريف فكيف إذن يعتمد عليه القرآن؟ وكيف يمكن أن يحيل الله إليه ليستشهد به وهو مزيف وبه تزويرا؟

أما أن يصرح القرآن بأنه جاء مصدقاً للكتاب المقدس ويحرص على التمسك به والاحتكام إليه باعتباره قد جاء مهيمناً عليه، يعنى رقيباً يحفظه من التغيير بعد أن صادق عليه، أى شهد له بالصحة والثبات، وواضح إنه لا يمكن أن يكون رقيباً إذا كان هذا الكتاب مفقوداً عند نزوله، فان قيل أنه فقد فيما بعد فلا يكون قد قام بمهمة الهيمنة عليه ـ بل ويأمر بالإيمان به، «وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب» (الشورى ١٥) وقد وصفه بأوصاف التجلة والكمال فى مواضع كثيرة منه، يمكن لمن يشاء الرجوع إليها، مقرراً من جانب الله سبحانه بأنه أوحى به لموسى وداود والمسيح والحواريين والأنبياء، محذراً من الكفر ببعض رسله والإيمان ببعض، ومن التفرقة بين أحد من رسله جاعلا الكفر بالله على نفس المستوى مع الكفر بملائكته وكتبه ورسله، وهنا تعترينا الدهشة كيف يصدق

القرآن هكذا للتوراة والإنجيل المفقودين وكيف يعاقب من كفر بهما إذا كانا غير موجودين؟!! بل أنه يحض على ضرورة الإيمان بالكتاب المقدس كاملا وليس بأجزاء منه فقط (النساء ١٣٦ ـ البقرة ١٢١،٨٥) أفليس هذا كله دليلا قاطعاً على سلامته !؟ ويلى ذلك اقتباسات القرآن من الكتاب المقدس فقد ورد به القول: إنا أنزلنا التوراة ... وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن ... الخ (المائدة ٤٥). ونفس هذه الآية موجودة فى سفر (الخروج أصحاح ٢١ الأعداد ٢٣-٢٥) وهذا هو نصها فى التوراة: «وإن حصلت أذية تعطى نفساً بنفس وعيناً بعين وسناً بسن ويداً بيد ورجلا برجل وكياً بكى وجرحاً بجرح ورضاً برض». وهى هنا كاملة فى التوراة. وفى (سورة الأنبياء الآية ١٠٥). «ولقد كتبنا فى الزبور (المزامير) من بعد الذكر «التوراة» أن الأرض يرثها عبادى الصالحون» والواقع أن هذه الآية اقتباس من (مزمور ٢٩:٣٧) «الصديقون يرثون الأرض ويسكنونها إلى الأبد».

وفى سورة الأعراف الآية ٤٠ يقول: «إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط» وهو قول وارد فى إنجيل (متى ١٩:٢٤، مر ١٠:٢٥، لو ١٨:٢٥) ونصه: «إن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله». وأيضاً ما جاء فى إنجيل (متى ٢٥) عن العذارى يطابق فى معناه ما جاء فى (سورة الحديد ١٢،١٤)

بل وهناك حديث يقول: «قال الله تعالى أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» وهو وارد فى رسالة (كورنثوس الأولى ٢:٩) مما يستوجب التسليم بوحى الرسائل التى كتبها بولس الرسول ـ فهل تتفق هذه الاقتباسات وما يشابهها مع الادعاء بالتحريف والنسخ؟ وكيف يكون مقبولا فى العقل والمنطق أن يكون مثل هذا النقل الذى يكاد يكون فى مواضعه لفظياً وبنصه مع القول بأن الكتاب المقدس المنقول عنه هذه الاقتباسات محرف إلا إذا كان ذلك من قبيل الادعاء الباطل الأجوف!؟

ألا يجدر بأدعياء التحريف الاصغاء إلى الأمر الذى يقول لهم «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن ... وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا والهكم واحد». (العنكبوت ٤٦).

ثالثاً: شهادة مؤلف نبذة المتناقضات وتسليمه الضمنى بصحة الكتاب المقدس الذى

يطعن فيه:

أليس مما يدعو إلى الدهشة هنا بعد كل ما بذله مؤلف نبذة المتناقضات من محاولات مضنية للطعن فى التوراة والإنجيل بالتحريف أن يقتبس من ذات هذا الإنجيل الذى لا يؤمن بصحته مما جاء فى إنجيل (يوحنا الأصحاح الرابع عشر عدد ١٥،١٦) «إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى. وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد «وأن» هذا المعزى الروح القدس سيرسله الآب باسمى (ع٢٦) ثم قول المسيح أيضاً: لا أتكلم معكم كثيراً لان رئيس هذا العالم يأتى وليس له فى شىء (عدد ٣٠) وهو يفسر هذه الأيات بأن المعزى يعنى إنساناً ما يرسل من عند الله ويتكلم برسالة من عند الله. ويزعم بأن وصف المسيح له بقوله. معزياً آخر. وقوله فهو يشهد لى يقطع بأنه إنسان ورسول. وكلمة رئيس يدعى بأنها فى أسفار العهدين القديم والجديد تعنى «رسول» مقتبساً فى ذلك ما جاء فى (تكوين ٢٢) عن إبراهيم وفى (أعمال٥) عن المسيح نفسه ــ ثم يدعى بأن هذا المعزى الآخر رئيس هذا العالم هو نبى الاسلام وإنه جاء ليشهد للمسيح ... الخ.

والعجيب هنا فى تعرض الكتاب لمثل هذا الاقتباس أنه بذلك ــ إذا أراد أن يستقيم تعرضه هذا ــ إنما يؤكد صحة الإنجيل. وإلا فلماذا يقتبس من إنجيل لا يؤمن بصحته ويفترض أن ما جاء به صحيح بدليل اقتباسه منه وأخذه على نفسه مهمة التفسير كذلك: ومن المعلوم أن التسليم بصحة أى جزء من الإنجيل إنما هو فى الواقع تسليم بصحته كله !!

وأما من جهة هذا التفسير الاجتهادى الذى يقدمه فلم يسمع به أحد من أهل الكتاب الذين هم أولى منه بالتفسير فى كتبهم ــ فضلا عن أن اللغة اليونانية «الأصلية» لا تؤيده لأنها بحرف واحد فى كلمة «المعزى» وهو e «مكان» o أى «باركليتس» لا «باركليتوس» تفرق فى المعنى بينهما. فالأولى تعنى «محامى أو شفيع» بينما تعنى الثانية «المحمود» أو «المشهور» وشتان بين المعنيين مهما حاول الربط بين المعزى والقول المنسوب إلى عيسى فى (سورة الصف الآية ٦) القائل: «ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد. وبالاضافة فإن ما ورد بهذه النصوص لا يمكن أن يقبله مثل هذا الكاتب إلا إذا سلم بأن المسيح نفسه هو «الله» لكونه يقول عن هذا المعزى بأننى «سأرسله» وهو بذلك يصبح رسول المسيح. فإذا ما كان هذا الرسول بحسب تفسير نبذة المتناقضات هو بعينه الذى يصفه بأنه «رسول الله» أصبح من المحتم تلقائياً أن يكون المسيح الذى قام بارساله هو الله ... لكن هذا المعزى الذى بحسب النص نفسه هو «الروح القدس» وقد اختلفوا فى معناه لجهلهم ماهيته إذ لا يمكن أن يكون بشراً أو إنساناً وانما هو روح

الله القدوس، الاقنوم الإلهى المبارك المساوى للاب والإبن فى جوهر اللاهوت - ويقيناً لو انتبه الكاتب إلى ما جاء فى نفس الإنجيل فى (الأصحاح الثانى عشر منه عدد ٣١) ونصه: «الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجاً» (ويقصد به هزيمة إبليس وخلع سلطانه بعد إدانته بالصليب) لتردد ألف مرة ومرة قبل أن يتجه فى تفسيره لعبارة «رئيس هذا العالم» إلى هذا التطبيق العجيب الذى ذهب إليه بدون فطنة أو وعى !!

وإذ قد أثبتنا بهذا كله استحالة تحريف الكتاب المقدس فى أعقاب إقامة الأدلة القانونية والمنطقية للدفاع عن ذلك فى قضية الادعاء بالتحريف فقد ثبت بذلك بطلان هذه الدعوى وسقوطها تلقائياً بما لا يحتاج إلى أكثر مما قدمنا، لاننا ازاء هذا كله نستطيع أن نؤكد ان القول بالتحريف هو ادعاء بلا سند ولا منطق ولا يتفق مع العقل اطلاقاً.

* * *

ولقد شهد لهذه الحقيقة مؤلف كتاب «عصمة التوراة والإنجيل» اسكندر جديد بقوله ابتداء من (صفحة ٣٦): «لقد شهد القرآن للاسفار المقدسة بالصحة بشهادات صريحة واضحة لا تقبل التأويل نقتبس منها:

○ انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون .... والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانــوا عليه شهــداء (المائدة ٤٤)

○ وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ...» (المائدة ٤٦)

○ وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسدون (سورة المائدة ٤٧)

وهنا يذهب القرآن فى تأييده للتوراة والإنجيل إلى حض أهلهما على إقامة ما جاء فيهما من تعاليم، ويصف الذين يهملون ذلك بأهل الاثم - وهذا اعتراف ضمنى بصحتهما وسلامتها من التحريف !!

وأما فى قوله: «فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون» (النحل ٤٣) فقد جاء فى تفسير الجلالين ان اهل الذكر، هم العلماء بالتوراة والإنجيل، وفى هذا النص شهادة صريحة بان رسل الله وانبياءه الذين كتبوا الذكر، انما كتبوه بالوحى !!

يؤكد ذلك النص الوارد فى (سورة البقرة ١٣٦) وهو: «قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما انزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون». فكيف يأمر القرآن الذين آمنوا بما انزل فيه بان لا يفرقوا بين قرآنهم وبين الكتاب الذى من قبل، وهو عارف بان الذى أنزل من قبل محرف ومتغير!؟ فى حين ان الواضح من هذه الشهادات ان التوراة والإنجيل هما كلام الله، وانه لم يحدث فيهما تبديل أو تغيير، مما يؤكد بالضرورة عدم تحريفهما !!

الجـزء الثالث

هـــل الكتـــاب المقدس هـــو كـــــلام الله !؟

ظهرت بعد صدور الطبعة الأولى من هذا الكتاب عدة مطبوعات منسوبة للسيد أحمد ديدات من بينها كتيب عنوانه: «هل الكتاب المقدس كلام الله؟» ـ وهو يسعى فيه جاهداً لإثبات أن الكتاب المقدس لا يمكن أن يكون كلام الله. وذلك بقصد التأثير على من هم على غير علم بحقيقة الأمور. لكن أصحاب المعرفة الحقيقية بالنصوص وخلفياتها التاريخية يدركون فوراً تفاهة محاولاته !! ومن ثم كان لابد من تقديم كلمة رد موجزة فى هذا التذييل !!

أولا: ادعاء ديدات على اثنين من الشراح المسيحيين هما سكروجى وكراج بأنهما ـ على حد قوله بخيلاء ـ يفشيان سراً بقولهما أن الكتاب المقدس هو من خلق البشر (ص٢) مع أن قصدهما الواضح هو الإقرار بوجود العنصر البشرى فى الكتاب المقدس، وان هذه ميزة يتفوق بها الكتاب المقدس، وذلك لكى يصل كلام الله للناس على مستوى فهمهم وقدرة إدراكهم، وبدون أية إمكانية لأى خطأ ـ لأن الوحى هنا لا يلاشى شخصيات الكتبة الذين استخدمهم، إذ انه ليس وحياً آلياً أو ميكانيكياً ... ومن ثم فان محاولة ديدات اختراع ثلاث درجات من الشواهد (ص٤) وهى: كلام الرب، ثم كلام نبى الرب، ثم كلمات المؤرخ، فى حين أنه ـ من وجهة نظره يجب الفصل بينها وعدم المساواة بينها (ص٦)، مع أنه لا صدق البتة فيما يقوله هنا. فقد ورد فى القرآن كلمات كثيرة ليست هى كلام الله مباشرة بل هى كلمات انبياء وكلمات ملائكة (آل عمران٤٠ ومريم٦٤) وروايات تاريخية. ولا يمكن لأحد أن يقول إن هذه هى كلام الله!!

ثانياً: يبدأ ديدات الفصل الثانى من كتيبه بالادعاء بأن الكتب المقدسة اليهودية والمسيحية والتى يتكون منها الكتاب المقدس غير معترف بها ـ بحسب اعتقاده ـ لكونهما غير التوراة والإنجيل الحقيقيين والمختلفين تماماً عما هو موجود اليوم، وهى التى يقال أنها اعلنت لموسى والمسيح:

ولا شك ان مثل هذه المحاولة يصعب قبولها بجدية إذ ليس هناك أى برهان من أى نوع يؤيدها كما سلف البيان. فلم يرد فى التاريخ فى أى زمان أن كتباً كهذه قد أعلنت لموسى أو المسيح، أو أن توراة أخرى أو انجيلا آخر بخلاف ما بين ايدينا كان لها وجود فى أى وقت ... وإنما هذا استناد على الرأى الشخصى غير الموضوعى ـ وهو يدعى الايمان به دون أن يكون قادراً على تقديم ولو دليل واحد يساند إيمانه هذا !!

وحقاً كم هو غريب ان الاله الذى أنزل التوراة والإنجيل لم يحفظ ولو نسخة واحدة منهما، لانه وهو إله الكون لابد وان يتصرف فى جميع الأزمنة بغير تبديل أو تغيير ودون أى

تضارب، فكيف يقال عنه بانه حفظ أحد كتبه تماماً (بحسب زعم ديدات فى ص٧) بدون أى تغيير ولعدة قرون، ورغم هذا لم يحتفظ ولو بنسخة واحدة من التوراة والإنجيل ! انه لمن الصعب تصديق هذا القول ناميك عن قبوله !!

وفضلا عن ذلك فان كلمة «الإنجيل» ليست عربية أصلا، وانما هى سريانية استخدمها المسيحيون لوصف البشارة .. وهذا يؤكد ان الإنجيل لم يكن طيفاً أو خيالا كشف عنه هكذا المسيح ثم اختفى كل إثر له على نحو غريب، ولكنه العهد الجديد الذى نعرفه اليوم تماماً. ونفس الشىء يمكن أن يقال عن «التوراة» فهى كلمة ذات أصل عبرى يعنى «التعليم»، وهى الاسم الذى أعطاه اليهود أنفسهم دواماً لكتب العهد القديم كما هى معروفة لنا اليوم !!

ثالثاً: أما الادعاء بوجود أخطاء فى الكتاب المقدس فهى لا تعنى ان هناك نصوصاً مختلفة له، لكنها ترجمات مختلفة للكتاب المقدس ــ وهى لزيادة فهم وادراك معانيه ــ دون المساس بنصوصه الأصلية العبرية واليونانية للعهدين القديم والجديد والتى حفظها اليهود والكنيسة المسيحية سليمة حتى اليوم !!

ولذلك فان ما يزعمه ديدات نقلا عما جاء فى مقدمة الترجمة المنقحة المعروفة RSV ويضع خطاً تحته فى كتيبه من «ان الترجمة المعروفة بترجمة الملك جيمس تحتوى على عيوب جسيمة كثيرة ومهمة بحيث تتطلب المراجعة» (ص١١) ــ فليست هذه العيوب إلا عدداً من القراءات المختلفة التى لم تكن معروفة للمترجمين الذين أعدوا ترجمة الملك جيمس فى اوائل القرن السابع عشر. وقد تعرفت الترجمة المنقحة التى تمت فى القرن الحالى على هذه القراءات، وذكرتها كحاشية أسفل الصفحات المحتوية على هذه النصوص ...

وفضلا عن ذلك فان هذه الترجمات ما هى إلا ترجمات نصوص الكتاب المقدس إلى اللغة الانجليزية من اللغة اليونانية، وان هذه النصوص فى مخطوطات محفوظة لم يحدث بها أى تغيير !! وهذا يعنى فى حقيقة الأمر انه وان كانت هناك ترجمات عديدة، إلا أن جوهر الكتاب المقدس لا تغيير فيه إطلاقاً ... ومن ثم فاننا نرى ان هذه القراءات المختلفة (وبعضها قد ظهر فى الترجمة التفسيرية مثلا) لا تثبت أن الكتاب المقدس قد تغير، ويمكننا أن نؤكد بثقة ان الكتاب المقدس بشكل عام سليم لم يحدث به أى تغيير بأية طريقة .. وشهادة التاريخ والمخطوطات قائمة تشهد كلها أن التوراة والإنجيل سليمان بالصورة التى كتبا بها أصلا !!

رابعاً: أما ما يقدمه ديدات بعد ذلك ويخصص له إحدى

نبذاته بعنوان خمسون ألف خطأ في الكتاب المقدس نقلا عن مجلة اسمها "استيقظوا - AWAKE" صادرة عن شهود يهوه في سبتمبر ١٩٥٧ (وهم طائفة أقلية غير مسيحية تستشهد بمجلة غير دينية اسمها "لوك LOOK) تقول أن هناك تلاميذ جدداً يقولون إن هناك نحو خمسين ألف خطأ في الكتاب المقدس:

فمن الغريب أن ديدات لا يورد أي ذكر لهوية هؤلاء الناس الذين اطلق عليهم، تلاميذ جدد كما لم يقدم حتى دليلا بسيطا بمثل واحد لهذه الأخطاء فلا يمكننا إلا أن نفترض أن هذا الادعاء نظري محض نبع من تحيز مبالغ فيه - فضلا عن اعترافه هو بان هذا التقدير قد يكون غير صحيح. وأيضاً ان معظم ما يسمى بالأخطاء قد صحح في الترجمات الحديثة. أما الأخطاء الباقية فهي أخطاء تافهة لا توثر تاثيراً له قيمة في مدى الثقة بالكتاب المقدس: (ص٨ من نبذته)

ولسوء الحظ فان الذين يشاركون ديدات في تحيزه يبتلعون طوعاً أو كرهاً ما يقرأونه ضد الإنجيل، حتى لو كان عسر القبول أو غير منطقي - وهو يزعم على حد قوله بانه ليس لديه الوقت ولا المساحة لفحص هذه الالاف من الأخطاء المزعومة. وانما على سبيل المثال يورد منها بعض الامثلة القليلة مثل الخلاف المصطنع بين لفظتي «علماء ALMAH) و(بتولة Bethulah) في ترجمتها إلى كلمة «عذراء» (اش ٧:١٤) والخلاف المزعوم حول صحة ترجمة «ابنه الوحيد» وهي تتضمن في الاصل - المولود - ويزعم ديدات ان حذف كلمة «مولود - Begotten» دليل على ان الإنجيل حدث به تغيير! ونؤكد مرة أخرى انه لا تغيير في الاصل اليوناني، وان القضية هي ببساطة قضية ترجمة ... ولذلك فان اغفالها في اللغة العربية لم يكن في محله ... أما ادعاؤه بان الاناجيل لم تسجل كلمة واحدة عن صعود المسيح للسماء. ولكن الحقيقة هي عكس ذلك تماما فقد اشارت كلها إلى هذا الصعود!

* * *

ولقد أثار ديدات الشكوك في صحة الكتاب المقدس بسبب اختلاف أرقام معينة بين سفر وآخر من أسفار التوراة. ومع ان كل ماأثاره من هذا القبيل لا يؤثر على عقيدة. **وما يعتبره أخطاء لا قيمة له على مضمون الكتاب المقدس ككل، ومع ذلك فقد رددنا عليه في الطبعة الثانية من كتابنا "مصادر الكتاب المقدس" فليرجع اليها من يشاء منعاً من التكرار !!**

غير اننا نتعجب بشدة لتصريح فادح الخطأ لديدات قال فيه: من بين أربعة الآف مخطوطة مختلفة يتفاخر بها المسيحيون، اختار آباء الكنيسة اربعة فقط تتفق مع تحيزهم واسموها أناجيل

متى ومرقس ولوقا ويوحنا (س٢٤) مرة أخرى يتجاهل ديدات الحقيقة حيث ان هذه الاربعة الآف مخطوطة هى نسخ لاسفار العهد الجديد كلها وهى (٢٧). ومئات منها فقط هى نسخ من الاربعة اناجيل المشار اليها. **وان مثل هذه التصريحات تجبرنا على أن نستنتج أن ما كتبه ديدات لا يمكن ــ مهما اتسع به الخيال ــ أن يعتبر نقداً علمياً نزيها للكتاب المقدس!!** بل هو وابل من السباب الصاخب ضد هذا الكتاب من رجل ليس له اختصاص الالمام به وانما هو يعلن بذلك تحامله البالغ الشدة ضد الكتاب المقدس، مما يغنينا عن الدخول فى أية تفاصيل أخرى مما أورده فى كتاباته من هذا القبيل!!

وهذا يعنى فى ختام هذا الرد الذى بين ايدينا الآن، ان لا حاجة بنا لتفنيد مزاعمه فيما يسميه بالكتابات الفاضحة فى الكتاب المقدس **وهو فى ذلك يتحدى الواقع الواجب التسليم والذى يؤكد انه من دلائل صدق الكتاب المقدس وانه كتاب الله ذكره لسقطات الانبياء والرسل** ــ باستثناء الشخص الوحيد المعصوم السيد المسيح ـ وذلك لأن جميع الانبياء هم من دم ولحم، وارتكابهم لأى ذنب جسيم كان أمراً متوقعاً شأنهم شأن سائر البشر. ولا يمكن أن نهاجم الكتاب المقدس لأنه لم يرحم الانبياء حينما كشف أعمالهم. ومن ثم فان ادعاء ديدات بان الكتاب المقدس لا يمكن أن يكون كلمة الله لمجرد أنه يظهر الناس ــ حتى أحسن الناس ــ فى أسوأ حالاتهم ادعاء باطل ... فاذا كان الكتاب المقدس يكشف عن خطايا البشر. فانه فى الواقع يرفض أن يغطى زلات أحسنهم. ولذلك فهو جدير بأن يكون كلمة الله لانه يعنى بتمجيد الله لا الانسان. إن مجد الله هو هدف الكتاب المقدس وليس المجد الزائف للإنسان!!

ولكن لماذا يهاجم ديدات القصص التى تتصل بشر الانسان ويغفل ما ورد بالكتاب المقدس من قصص الصالحين الأتقياء ــ كما اننا لا ندرى لماذا لا يسلم بان الكتاب المقدس هو كلام الله وهو يصف لنا الله بانه كلى القداسة وتام الصلاح وعظيم فى محبته ... **ونحن سعداء حقا ان ديدات لا يقول ان صفات الله فى الكتاب المقدس موضع لوم، وهذا هو كل ما يهمنا حينما يتصل الأمر بتحديد ما اذا كان كتاب ما هو كلمة الله!!**

• • •

يضاف إلى ذلك، انه مما يؤسف له حقاً أن نشاهد الروح السلبية التى تملأ كل صفحة من كتيبه. اذ ليس هناك أى جهد فى موضع منه لتناول ما يحتويه الكتاب المقدس بطريقة موضوعية. لم تصدر منه كلمة طيبة ولو مرة واحدة عن الكتاب المقدس. وانه لمما يدعونا للعجب أن يستطيع انسان ما

أن يقرأ الكتاب المقدس ويتفحصه ثم يكتب عنه بحثا ليس فيه غير النقد المملوء بروح من التحامل السافر الذى لا يستحق معه أن نقبل ما يدعيه لنفسه انه «عالم فى الكتاب المقدس»!! الأمر الذى يستتبعه ــ كما هو حادث تماما ــ ان الذين يشاركون ديدات فى تحامله على الكتاب المقدس لن يهتموا بأن يفتحوه، لكى يقفوا على الكنز الروحى العظيم الذى يحتويه فيتوقفون بذلك دون معرفة حقه المقدس بما يحتويه من حقائق مجيدة وجمال مشع. وهذا ما اكتشفه فيه من يقرأونه بعقل متفتح ورغبة صادقة فيعرفون ويفهمون تعاليمه وإرشاداته التى هى نبراس الهداية إلى طريق الحياة الأبدية!!

x x x

أما ما ورد فى كتاب د. مصطفى محمود عن "التوراة" الذى صدر عن دار المعارف فى أواخر الثمانينات فاننا نلقى عليه نظرة ختامية استكمالا لهذا البحث الفريد:

وهو يبدأ فى الفصل الأول منه بعنوان: «التوراة موضع خلاف» يفتتحه باقتباسات من سفرى الجامعة والامثال، واقوال نطق بها أيوب وداود يرى انها تتألق كفصوص الماس وسط دشت كثيف من صفحات كثيرة من القصص والتاريخ يصفها بأنها خضم من المسلسلات والتشويش ... **ثم يتساءل بغير تدبر: "أهذا الكتاب بصورته الحالية هو ما أنزله الله منذ ثلاثة الآف سنة على موسى؟!"**

ولقد كان غريبا على هذا الكاتب أن يختلط عليه الأمر فيحسب ان كتابات ايوب وداود وسليمان وغيرهم من الانبياء والمؤرخين الملهمين انها بعينها كتابات موسى. **وكأنه لم يقف على حقيقة التوراة من جهة تقسيماتها**، فما كتبه «موسى» وهو الخمسة أسفار الأولى من التوراة قد اطلق عليه «الناموس»، وهو غير ما كتبه غيره الذى أخذ إسما آخر هو «الانبياء»، بخلاف ما دونه داود وهو «المزامير». ولذلك فوان كانت التوراة تنسب لموسى بسبب أسفاره الخمسة التى تبدأ بها ولكنها لا تتحدد ولا تنتهى بها، بل هى تشمل كل أسفار العهد القديم ... **ومن ثم فأن خلطه المتعمد بين موسى وغيره من كتبة التوراة قد وقع باطلا وكان ذلك هو الخطأ الاول من جانبه، أما الثانى فزعمه بأن هناك توراة نزلت على موسى بالذات ــ وهى غير التوراة الحالية ــ** وهو زعم باطل مبنى على تصور وهمى لا يقوم عليه دليل ما، إذ ليس هناك ما يقال عنه بالتوراة التى نزلت على موسى، لان كتبة التوراة ــ وكذلك الإنجيل فيما بعد ــ كانوا عديدين، وكان من بينهم بالنسبة للتوراة ايوب وداود وسليمان ومن قبلهم بعد موسى يشوع وصموئيل والمؤرخون،

وكذلك عزرا بعد السبى الذى قام بجمع أسفار التوراة معاً .. ومن المعلوم ان موسى كتب بالاعلان المباشر ـ الوحى الالهامى ـ فيما يختص بالحقائق التى لم تكن معروفة لديه من قبل. وأما غيره من الكتبة فقد قاموا ـ بتوجيه الوحى لهم ـ بكتابة الحوادث العامة فيما اطلق عليه «التاريخ المقدس». وأما عن وجود القصص فى التوراة. فمن عجب أن معظمها قد وردت فى القرآن بشكل أو بآخر. فلا يجوز وصفها إذاً بانها خضم ملىء بالتشويش حسب ما أورده عنها هذا الكاتب!!

• • •

أما الاستناد على اختلاف السامريين عن اليهود بشأن التوراة باكتفاء الأولين منهم باسفار موسى الخمسة واعتبارها انها وحدها هى «التوراة». فهو مردود. لما نشأ بين الفريقين من عداوة أدت بهم إلى هذا الموقف ليس إلا. فى حين بقى اليهود (وهم الذين اؤتمنوا على اقوال الله وكان من بينهم الانبياء) على تمسكهم المطلق بالتوراة (وهى كتب موسى والمزامير والانبياء. واتحاد المسيحيين معهم فى ذلك فيما بعد إلى اليوم لهو دليل قاطع ـ فى حد ذاته ـ على صحة التوراة الحالية وبطلان الادعاء عليها بالتحريف. أو أن تكون هناك توراة أخرى مفقودة ـ اذ ان ذلك كله من قبيل الاختلاق!!

أما الادعاء بان التوراة الحالية تضم اقتباسات فرعونية لوجود تشابه فى بعض الفقرات الواردة فى (مزمور ١٠٤) مع مثيلات لها فى نشيد اخناتون فقد سبق أن أثبتنا فى كتابنا «مصادر الكتاب المقدس» أن فى التشابه فروقا فان اخناتون قد وجه نشيده إلى «اتون» «الشمس» وهو ما ألحقه باسمه وقد اعتبرها الاله الأول ـ وجميع الآلهه الأخرى صورا ومظاهر لها واذاً فاعتبار البعض لهم ـ بحسب ما يزعم برستد فى كتابه «فجر الضمير» بانه مبدع التوحيد فى زمانه إنما هى فكرة مضللة لانه لم يبلغ فى نشيده لمقام الجانب الاعلى الخاص بالاله الواحد القدير ...

وكذلك الحال فيما يختص بتشابه عبارة وردت فى سفر الامثال عن «الرجل الغضوب» ويوجد مثلها فى ما كتبه الحكيم المصرى «افيمنوبى» الامر الذى لا غرابة فيه بسبب امتداد اشعة الوحى إلى خارج مركزها المختار. إلى عقول حكماء عصور الوحى. وهذا مما يعزز الكلام المدون بالوحى اذ هى تقوم فى مقام الاستدلال فقط. ولكنها لا تعنى بالضرورة نقل آيات التوراة عن مصادر أخرى خارج الوحى!!

• • •

أما استطراد هذا الكاتب إلى ما يدور حول اسفار "الابو كريفا" ـ أى الغامضة

ـ التى يرى بان البروتستانت قد حذفوها بينما تمسك بها الكاثوليك، فقد رددنا عليه فى فاتحة هذا الكتاب وشرحناه، وقد رفضها اليهود من قبل وهم أولى بتحديد الموقف منها ـ وكان لهم اسبابهم فى ذلك التى جعلتهم يعتبرونها كتبا تاريخية ـ لا موحى بها ـ وكان إقتناعهم بذلك:ـ

١ـ لأن لغتها ليست عبرية. ٢ـ انها ظهرت فى زمن انقطاع الوحى الذى تنتهى التوراة به عند ملاخى النبى ٣ـ انها قد ورد بها اعتذار عن أخطاء وكذلك أقوال خرافية غير قابلة للتصديق وعقائد غير سليمه كتناسخ الارواح والتبرير بالاعمال وجواز الكذب والانتحار ... الخ. والموقف منها لايؤثر على التوراه بشىء!!

أما خروج المؤلف من هذا كله إلى الاستناد على ماورد بالقرآن فى هذا الشأن قوله: «يكتبون الكتاب بايديهم ويقولون هذا من عند الله وما هو من عند الله» وبروايته عنهم «انهم يحرفون الكلم عن مواضعه» (ص١٠ من كتابه) فان هذا يعارضه تماماً ما جاء فى (سورة المائدة٤٤) «انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء» وأيضاً «كيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله» وجاء فى سورة المؤمن: «ولقد آتينا موسى الهدى واورثنا بنى إسرائيل الكتاب هدى وذكرى لأولى الالباب» وفى سورة الانعام: «قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس» وقد وصفه فيما بعد بالكتاب المستبين والفرقان ـ أى الذى يفرق بين الحق والباطل وضياء وذكراً للمتقين. وأيضاً ورد عنه فى سورة الحجر «انا نحن أنزلنا الذكر وإنا له لحافظون» ... **ولقد وردت هذه الشهادات القرآنية وغيرها بجريدة الاهرام بعددها الصادر فى يوم السبت ١٣/٦/١٩٩٢ ضمن تعقيب من القس مرقس عزيز خليل كاهن كنيسة المعلقة بمصر القديمة رداً على ما نشرته هذه الجريدة من قبل بشأن تحريف التوراة والإنجيل!!**

ويبدو أن التحريف المدعى به على التوراة ليس سوى التحريف المعنوى لا الحرفى. وقد ورد عنه بلسان داود النبى: «اليوم كله يحرفون كلامى». وبتعبير اشعياء: «بالتحريفكم» وبقلم ارمياء «حرفتم كلام الاله الحى». وبتحذير بطرس الرسول بقوله: «فيها أشياء عسرة الفهم يحرفها غير العلماء وغير الثابتين لهلاك انفسهم» ـ وهذا ما يمكن إدراكه والوقوف عند حده فى هذا المجال!!

X X X

ثم هو يسرد ما ورد فى التوراة عن الآباء والانبياء بدءاً بنوح ومروراً بلوط ـ ثم يعقوب ويهوذا ـ بل وإلى داود وسليمان ويزعم ان التوراة تصفهم

بأنهم عصبة من الاشرار (من سكيرين ولصوص وزناة وكذابين ومخادعين وقتلة .. الخ) فهل هذا يصح من وجهة نظره فى كتاب أوحى به الله؟! وهل اختار الله هؤلاء ثم اكتشف خطأ اختيارهم !؟ **وقد سبق ان رددنا على هذا الاتهام الباطل** من قبل ـ فى هذا الذيل ـ عند مواجهتنا لأقوال ديدات التى يشاركه فيها هذا المؤلف. هذا **ونضيف إلى ذلك استكمالا للرد :ـ**

١ـ ان الكتاب المقدس ذكر عن هؤلاء الانبياء ما اظهروه من امانة ومن صفات مباركة فى سلوكهم ولكنه أدرج سقطاتهم تأكيداً لاستحالة نسبة العصمة للبشر بوجه مطلق وانما هى للانبياء فى حالة استخدام الوحى لهم. بالاضافة إلى ذلك فان الكتاب المقدس لم يكتب لتمجيد الانسان بل الله الذى يستحيل ـ وهو الحق ـ أن يقبل التلاعب بالحقيقة ... وفضلا عن ذلك فانه وهو يسجل خطايا الانبياء لم يمدح الخطية ولا وضعها فى إطار جذاب بل على العكس صور بشاعتها وقبحها واعلن عن عقابها فيما تسببه من أحزان ومرائر لمرتكبيها ... **وكان قصده الاساسى من وراء ذلك ان يحذرنا، لأن هذه انما كتبت لإنذارنا نحن فلا يكون هناك عذر للسقوط**، ولكن اذا ما حدث فلا يستوجب ذلك أن يهوى المخطىء إلى بالوعة اليأس لأن نعمة الله أعظم من أكبر الخطايا ... واخيراً فان تسجيل هذه الخطايا ليس اسقاطا لصفة الوحى عن الكتاب بل على العكس تدعيما لها. **فلو لم يكن هذا الكتاب كتاب الله لكان اليهود أنفسهم هم أول من بادر بازالة كل مايشوه تاريخهم وينسب النقص لانبيائهم كعادة البشر فى تمجيد أبطالهم...**

واخيراً فان الاعتراض على ذكر التوراة خطايا بعض الانبياء انما نابع من مجرد التعصب، ولم يدر المعترضون ان القرآن اقتبس منها وذكر اغلب خطايا الانبياء بالتصريح واحيانا بالتلميح ...

ومن ثم فقد سقط هذا الادعاء وثبت انه افتراء محض. فان الانبياء منزهون عن الخطأ ومعصومون بعصمة الوحى، ولكن لا ينكر انهم فى باقى الامور العادية كانوا كسائر البشر، حتى انهم فى النواحى القوية من حياتهم سقطوا، فموسى الحليم سقط فى الغضب، وداود الطاهر سقط فى النجاسة، ويوحنا المعمدان الواثق سقط فى الشك وبطرس الشجاع سقط فى الانكار .. وهكذا الخ!!

وواضح أن أحداً من المدافعين عن عصمة الكتاب المقدس لم يدر فى خلده أن يفند كل الاعتراضات من هذا القبيل. اذ لا نهاية لافتراءات العقل البشرى السقيم الذى يتفنن فى ذلك مصداقا لما اعلنته كلمة الله نفسها بأن: **"هؤلاء يفترون على ما لا يعلمون ... فويل لهم"** (يه١٠،١١)

انهم اشبه بمن ينطحون الصخر برؤوسهم إلى أن تدميهم ويظل الصخر كما هو. وتم فيهم قول الشاعر :

كناطح صخرة يوما ليوهنها
فما ضرها وأوهى قرنه الوعل

أما ما يذكره المؤلف ــ وآخرون مثله ــ من أن نشيد الانشاد هو مجرد ملحمة شعرية عن الحب والجنس مما لا علاقة له بالدين، مما تسبب عنه تشويش لاذهان غير المؤمنين، فمن أين لهم، وهم طبيعيون يتعاملون فى نطاق الحواس والمادة أن يدركوا أسرار العلاقة الروحانية بين الله وشعبه. وأنى لهم أن يكتشفوا معنى «الحب الروحانى». ولا «ماهى العروس». وقد فاتهم أنه شعر مجازى للتعبير عن فرط المحبة التى بين المسيح وكنيسته!!

والواقع أن نشيد الانشاد هو ذروة ما كتبه سليمان من نشائد بلغت الألف. وهو سفر قانونى وضع لوصف اختبارات روحية صوفية سامية. ولكل كلمة فيه تأويلها الشارح لمعناها .. والمنتقد طبعاً لم يقف عند حد هذا السفر وهو يبحث عن ثغرات أينما يذهب فى التوراة بقصد اختلاق الشبهات. فهل لمثله أن يدرك مقدار العمق الذى يتميز به هذا السفر الذى يجد فيه الذهن الروحى طعاما دسما. أما الانسان الطبيعى ــ وقد صعب عليه الوصول إلى عمق معانى عباراته ــ فقد نظر اليها كمجرد غزل شهوانى لإثارة الدوافع الجنسية!!

X X X

وهو يعود فى الفصل الثانى الى حديث عن: «الله وملائكته وانبياؤه» يقصد به أن يظهر التضارب بين اقوال عظيمة للانبياء جاءت فى التوراة مع ما هو منسوب اليهم فيها وعن اوصاف عن الله ــ بل وملائكته ــ يظن أنها غير لائقه:

وهو يرى ذلك فى عبارات كالتى وردت عن الله فى ختام الخلق. «انه فى اليوم السابع استراح» وكذلك ما ورد عنه بأنه قد استيقظ من مسكن قدسه .. وهو يرى فى هذه الكلمات إهانة لذات الله. وكذلك الحال فى نظره أمام القول عن الله بأنه يندم أو يتعب. وهو لذلك يرى ان هذه سطور دخيلة مدسوسة على التوراة وهى تناقض ما جاء من أوصاف عن الله فى مواضع أخرى .. ومع ان هذا اتهام باطل مبنى على الظن بانعدام وجود نسخ للتوراة فى بعض الازمنة على حد قولهم. إلا اننا قد سبق أن اثبتنا وجود نسخ من التوراة فى السبى. وما بعد السبى وكيف وجدت مختلطة بدماء المكابيين الذين حافظوا عليها بدمائهم .. الخ مما يستحيل معه قبول هذا الفرض الجدلى العقيم ..!!

ومن المعلوم مثلا أن كلمة «استراح» لا تعنى انه سبحانه قد تعب بل انه فرغ أو انتهى من العمل الذى قام به خالقاً .. وأما عن «الندم» فهذا لا يعنى حدوث تغيير ما فى الله وانما هو كشف لتحديد موقف الله على اساس موقف الانسان من وصاياه. والندم والحزن هنا معناهما الشفقة والرقة والرحمة. واستعمال

مثل هذه الألفاظ من جانب الله جائز ليقرب لعقولنا الامور المعنوية. فان الله لا يخاطبنا بلغة الملائكة بل بلغتنا واصطلاحاتنا لندرك حقائق الامور...!!

ومن عجب استغراب الكاتب لاستخدام الله «قوس القزح» بعد الطوفان ليكون علامة لعدم حدوثه مع انه مجرد ظاهرة علمية، رغم ان الله سبحانه له مطلق الحرية والحكمة فيما يشاء أن يختاره ويستخدمه فى تعامله مع البشر أما نقده لشريعة الذبائح والمحرقات، وكذلك شريعة تطهير الابرص على الوجه الذى ذكره فى كتابه، فنراه مجرد تطاول من جهة على حكمة وجلال الله فيما وضعه من شرائع طقسية مملوءة بالرموز والمعانى ذات المدلولات بعيدة المدى، وهو فى ذلك يتجاوز الحد المرسوم الذى يلزمنا بالتأمل فى هذه بأجمعها ومحاولة الوقوف على مراميها دون حاجة للطعن فيها، وخاصة فيمن لا علاقة له بها، وليس له سبيل لمعرفة حقيقتها سوى الظن!!

وأما نقد التوراة لانها ذكرت عن الملائكة الذين زاروا ابراهيم بأنهم أكلوا ـ مع أن الملائكة لا يأكلون ـ فانه ليس بأكل حرفى حتى لو ظهر انه كذلك فقد أكل السيد المسيح بعد القيامة مع انه لم يكن لجسده لحم ودم بعد ـ وكذلك تسفيه الكاتب لما جاء فى (ملوك أول ٢٢) بحسبانه ان الروح هنا لابد أن يكون الروح القدس وكيف به يقوم بإضلال الانبياء وان يكون روح كذب فيهم. ومع ان هذا جائز اذ انه معلوم عند هذا الكاتب وغيره بان الله سبحانه «يهدى من يشاء ويضل من يشاء»، وقد يصل الحال إلى اضلال الانبياء ما داموا كذبة، إلا أن المعنى هنا قد يتجاوز ذلك إلى تفسير «الروح»، بالروح الشرير ـ الشيطان ـ وانه قام بذلك، وخاصة اننا نفهم من سفر ايوب ان الشيطان هذا كان يمثل امام الرب ضمن الملائكة ليقدم حسابا عن أعماله بعد أن يكون قد قام بجولات على الارض والتمشى فيها!!

واما عودته مرة أخرى للبحث عن خطايا الانبياء للطعن فى التوراة عن طريقها، فهو مما يدعو للأسف حقا بسبب تخريجات غير صحيحة لبعض أقوالهم ونسبة أشياء لهم عن طريق التجاوز ونسيان جوانب الشرف والامانة التى كانت لهم من نواحى أخرى، فضلا عن تأكيد عصمة الوحى فيما تدون عنهم وبهم .. وقد أورد الكاتب نفسه فى (ص٤٥) من كتابه الاقرار الذى يقول: «إن رفض الواقع لمجرد انه لا يعجبنا هو نقص فينا وليس فى الواقع ... وان اجمل ما فى التوراة هو صدقها فى رواية الواقع كل الواقع عن الانبياء ولو كان كريها..» اما فلسفته فى تحليل مقاييس الخطأ وأنواعه فانها مردودة بما سبق ان سطره هو بنفسه فى (ص٤٤) من ان «الانبياء كما هو معلوم ليسوا من طينة أخرى مختلفة عن طينة البشر بل هم مثلنا تماما .. وفيهم الضعف والغواية التى فينا.

وحوار الله معنا دائماً انما هو من خلال شخصيات بشرية متعثرة مثلنا .. وهذه اروع صورة لحرية ارادة الإنسان ولعظمة نعمة الله»!!

اما تشنيعه بما ذكرته التوراة عن خطية داود فى الوقت الذى سطرت له فيها أقوالا ممتازة نادرة فاننا نحيله الى اعادة القرآن لذكر هذه الخطية وغيرها ـ فلماذا لم يتجنبها بازاء هذا الاهتمام البالغ بنزاهة الانبياء وعصمتهم المطلقة وخاصة فى أمر سقطة داود التى تزيد فيها وأطال امعانا منه فى تحقيره للتوراة!!

أما محاولته ان يمد نقده لايوب زاعما أنه انكر القيامة دون استناد إلى نص فى ذلك، وكذلك انحراف سليمان وكيف اوردته التوراة كمن قد مال قلبه وراء الاصنام رغم ما ذكرته عنه من أقوال مليئة بالحكمة والتعليم وكل هذا مردود مرجعه الانحياز إلى جانب واحد من التفكير وانكار كل ما عداه، ينطبق عليه القول: «افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ....» (البقرة٨٥)

اما الفصل الثالث ـ وهو الاخير ـ الذى يتحدث فيه عن نبوءات آخر الزمان، وقيامه بالمقارنه هنا بين نبوات ونبوات فى شأن شعوب منطقة الشرق الادنى، وقيامه بالتفسير حسبما يروق له لدرجة انه يقول فى (ص٦٤) «ان التوراة فى بعض الفقرات من نبواتها تجدف على الملة المسيحية نفسها، فى حين انه يقر أن نفس هذه النبوات تعلن ان المسيح سينزل فى آخر الزمان ليملأ الأرض عدلا!!

وبعد أن يحاول جاهداً اثبات ان هذه النبوءات لا تتفق مع روح المسيحية وتعاليمها نجده ينتقد الكنيسة المسيحية لقبولها وحى هذه النبوءات وجعلها من سميم كتابها وكان الأولى بها ـ ان تتشكك فيها وتنتقدها بحسب ماارتآه من هذا القبيل!

وبعد استخدامه لآيات وردت فى التوراة تحمل معنى «التحريف المعنوى» محاولا أن يستشهد بها لحمل معناها على «التحريف الحرفى» وهى التى سبق ذكرها فى ثنايا هذا البحث، وتساؤله عن أسفار ياشر وحروب الرب ظنا منه أنها أسفار موحى بها، مع انها مراجع تاريخية اختار منها الوحى ما اراد تدوينه فى التوراة كما سبق البيان، يستطرد إلى الاستشهاد باقوال للوثر وآدم كلارك وجان ملز عن وجود تحريفات النقل، إلا انهم ذكروا بان مصنفى التوراة الاصليين كانوا ذوى إلهام .. وهو بذلك لا يهدف إلا لتحقيق غرضه الاوحد وهو الطعن فى التوراة.

واننا نحمد الله كثيرا لان الكاتب التزم محجة الصواب فى ختام كتابه بالقول: «واما فى مثل تلك النبوات فلا تصلح الأقلام حكما فيها وانما التاريخ وحده هو الحكم العدل» ... ولما كانت

النبوة هى قالب التاريخ مقدما وقد تمت اغلب نبوات الكتاب فى اطار التاريخ فقد بقى ان ندع القلم لمن يحضر المشهد الأخير فى خاتمة الزمان ليتحقق بما سيرى ويشهد صدق نبوءات زمان النهاية كتلك التى تمت من قبل على مجرى التاريخ ....!!

* * *

هذا وبعد أن غطينا كافة الطعون الموجهة للكتاب المقدس، فيما خلا بعض الألفاظ النابية التى وصفوا بها الله مستنبطين اياها من التوراة بغير إدراك لمعناها فجاءت بعيدة تماماً عن نزاهة القول والفكر .. فاننا هنا فى خاتمة هذا الكتاب نعلن باليقين القاطع قيمة برهان النبوات الواردة به فى شهادتها لصدقه مما يستحيل معه أن يكون هذا الكتاب صادرا بغير وحى الله المباشر، إذ هو وحده سبحانه العليم بسير الاحداث قبل وقوعها، متحدين البشر أجمعين فى ذلك فيما ورد فى سفر اشعياء بقوله: «ليخبروا بما سيعرش ويعلنوا المستقبلات» وهو فى نفس الوقت القائل: «اسألونى عن الآتيات» وكذلك «مخبر منذ البدء بالاخير ومنذ القديم بما لم يفعل» وأيضاً «بالأوليات منذ زمان اخبرت، ومن فمى خرجت وانبأت بها. بغتة صنعتها فأتت» (الاصحاحات ٤١،٤٤،٤٦،٤٨)

وتعتبر النبوات لذلك أقوى البراهين على صدق الكتاب المقدس. ذلك لأن الله وحده هو الذى يعرف المستقبل.

ويقول بعضهم ان فى الكتاب المقدس حوالى ٢٢٦٨ آية تحتوى على نبوات قد تمت وهناك ٢١٤٠ آيات أخرى لنبوات لم تتم بعد ..!!

* * *

ولسنا هنا فى مجال حصر هذه النبوات التى تضيق بها هذه السطور المتبقية من هذا الكتاب ومنها ما هو عن المسيح وجوانب أخرى عن توزيع سكان الأرض وتاريخ الامبراطوريات العالمية فى الأزمنة القديمة والتطورات السياسية التى ستحدث فى تاريخ الأمم والشعوب فى الزمان الأخير وإلى منتهى الدهر!! وعلامات نهايته من حروب وزلازل وبراكين وأوبئة ومجاعات مما نراه يحدث أمام عيوننا، ومن بين الأمور الخارقة التى تحدثت عنها النبوة ذكر ميلاد «يوشيا» ملك يهوذا قبل ظهوره بثلاثمائة سنة (امل ١٣:٢) وكذلك ذكر اشعياء لكورش الملك بالاسم قبل ظهوره بمائة سنة كذلك تنبؤ دانيال بالامبراطوريات الأربع العالمية وهى على بعد ستة قرون من أيامه ... وهذه أمثلة فقط لا تصل إلى حد الحصر مما لا يمكن ان يحدث بالصدفة ولكنه نتاج الفعل الإلهى وفى ذلك مسك الختام !!

الفهرســـت

	صفحة
كلمة تصدير	٣
الجزء الأول : فكرة عن الكتاب المقدس	٥
(١) حقائق عامة	٦
(٢) وحى الكتاب	١٠
(٣) أقسام الكتاب	١٣
(٤) عظمة الكتاب	١٦
(٥) موضوع الكتاب	٢٠
(٦) إعجاز الكتاب	٢٢
(٧) انتشار الكتاب	٢٥
الجزء الثانى : تفنيد الادعاء بتحريف الكتاب المقدس	٢٧
الفصل الأول : عصمة الكتاب	٢٨
الفصل الثانى : قضية الادعاء بالتحريف	٣٢
الفصل الثالث : بطلان دعوى التحريف	٣٨
الفصل الرابع : إثبات استحالة التحريف	٤٩
الجزء الثالث : هل الكتاب المقدس هو كلام الله	٥٥
الرد على كتاب لديدات بهذا العنوان	٥٦
الرد على كتاب "التوراة" للدكتور مصطفى محمود	٦٠

رقم الايداع : ٩٣/٣٧٤٩

اوتــو برنت ت : ٧٢٩٥٦٣

هـذا الكتـــاب

هو الطبعة الثانية من هذا المؤلف الثمين الذى صدرت الطبعة الأولى من الجزء الأول منه فى منتصف الستينات واستكملت بالجزء الثانى عام ١٩٨٠ وقد نفدت جميع النسخ المطبوعة منها بعد وقت وجيز من صدورها وكان عددها عشرة آلاف نسخة ... وازاء طلب الكثيرين وحاجة العصر وكثرة ما أثير حول "**الكتاب المقدس**" مؤخراً، كان لابد من ظهور هذه الطبعة الثانية للوقوف من جهة على ما أحتواه ذلك الكتاب الخالد من اعلانات نورانية وتعاليم سامية دائمة الأثر !! وقد تلاه "**عصمة الكتاب المقدس**" وهو الحجة الدامغة لصدق أقوال الله الحية التى يحتويها الكتاب المقدس ـ وهو يقوم بسرد قضية الادعاء عليه بالتحريف وتفنيد الاسانيد التى يحاول الناقدون الاستناد إليها فى تدعيم ذلك الادعاء ـ ومواجهتها بما يكشف عن بطلانها وعدم صحتها، كما يتعرض لقضية النسخ أى الزعم بالغاء وإبطال الكتاب المقدس دون أن يكون هناك دليل واحد على ذلك ...

وينتهى هذا البحث الفريد إلى ثبات استحالة التحريف بالأدلة العقلية والمنطقية والتاريخية ... وقد تواصل اصدار هذه الحلقات عن الكتاب المقدس إلى أن بلغت سبع حلقات نستودعها جميعها لله سبحانه الذى أوحى بالكتاب وأرسله للبشرية نوراً وهدى للحياة الأبدية لكل من أراد أن يتحقق من سلامة المصير النهائى بعد انتهاء هذه الحياة الزمنية!!

الثمـن ١٢٥ قرش